

السنة الخامسة (ذى القعدة سنة ١٣٥٧ هـ - يناير سنة ١٩٣٩ م) العدد الثالث

صحيفة دار العلوم

١٩٣٤ ع ٢

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب حجاب

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى يرمى

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

| | | |
|------------------|-------|-----------------|
| ٢٠ قرشاً | _____ | في القطر المصرى |
| ٦ شلنات انجليزية | _____ | خارج القطر |
| ٥ قروش | _____ | نمن العدد |

مطبعة العلوم بشارع الخليج بمخينة لاط

إِنْ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَنْ يَمُوتَ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَنْ يَحْيَا لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَارٍ
وَيَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُوفِ

الأنسَاءُ الأناجُ الشيخ محمد عبده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إعداد معلم اللغة العربية

نشأت في هذا العام مشكلة ، استدعت نشاطا في جهات متعددة ، فاض
أحيانا بغير حساب ، وعطلت من أجلها الدراسة في بعض المعاهد العلمية العالية
أياما ، واستيقظت بسببها فتن بين صفوف الطلاب ، الذين تشملهم هذه
المشكلة ، ورأى كل فريق منهم أن يدفع عن حقه ، أو ما يزعمه حقه ، وتناول
كثير من المفكرين الكتابة في نواحي هذه المشكلة ، ونشروا آراءهم في الصحف
السيارة ، ولكن هؤلاء الذين تبرعوا بالكتابة لم يقترح أحد منهم حلا ، ولم
يعالج المشكلة في جراحة ورعاية للصحة العامة .

وقد تضمنت هذه المشكلة ثلاثة معاهد : دار العلوم ، وكلية الآداب من
جامعة فؤاد الأول ، وكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية . فقد كان الغرض
الأول من إنشاء دار العلوم أن تكون حلقة الاتصال بين القديم والجديد ، وأن
تتولى تخريج المعلم الصالح الكفء الضليع المتأدب القدير على تدريس اللغة
العربية والدين في المعاهد المختلفة ، وقد حققت هذا الغرض سنين طويلا ، وما زالت
جادة في تحقيقه . ثم كانت كلية الآداب التي أنشئت لخلق نهضة أدبية جديدة
بتشجيع الباحثين ، ونشر كنوز الأدب العربي بين الناطقين بالضاد في كل مكان ،
وكان من المفهوم أول الأمر أن الطبقة الجديدة من رجال الأدب الذين يرتوون

من معين هذه الكلية سيعفون عن الوظائف الحكومية؛ فإنها لم تنشأ لتخريج موظفين، وإن نشاطهم الفياض سيجد آفاقا واسعة في نواح أخرى، وإن الناس سيطلبونهم في كل مكان حين يعرفون قيمتهم العلمية، ومكانتهم الأدبية، وما لهم من دراية بتأهيج البحث الحديثة، ولكن الكلية لم تتعلق بهذا الغرض زمانا طويلا، أو قل: إن طلابها لم يرقهم هذا الغرض، ولم تعجبهم هذه الغاية.

وكان لهم الأول لهؤلاء الشبان أن يطمعوا في الحصول على وظائف مدرسين في بعض المدارس الابتدائية أو الثانوية. ثم نظم الأزهر على النحو الذي نعرفه مع الاحتفاظ بأساتيدته، وأنشئت فيه كليات من بينها كلية اللغة العربية، ولم يكن يخطر في بال أحد إذ ذاك أن الأزهر سيمتد به طموحه إلى أن يخرج معلمى اللغة العربية؛ ليقوموا بتدريسها في مدارس وزارة المعارف، ولكن ما كادت كلية اللغة العربية تخرج الدفعة الأولى من طلابها حتى اتجهت الأنظار نحو المدارس وتعليم اللغة العربية والدين فيها، وأرادت وزارة المعارف أن تفتح لهم أبواب العمل، فسكرت إلى المدارس الحرة تنبيه أصحابها أنها تعتبر خريجي كلية اللغة العربية من الفنيين؛ إذا قاموا بالتدريس في هذه المدارس تدفع عنهم إعانة، وكان ذلك بصفة مؤقتة، ولكن المدارس مع ذلك رغبت عنهم ابتداء أو بعد تجربة، فأغلق هذا الباب في وجوههم.

ثم جاء هذا العام وحاول الأزهريون أن يتلمسوا الوسائل لفتح هذا الباب، وحين ذاك فقط دخلت المشكلة في طورها الجدى، وقام الأزهر الشريف يطلب كثيرا من وظائف الحكم.

وتمسكت المعاهد الثلاثة كل معهد بوجهة نظره، ورأت الحكومة أن تحل هذه المشكلة، فلجأت إلى تعيين لجنة تتولى دراستها، وتقضى فيها برأيها الموفق إن شاء الله !



وبينما الناس في هذا النضال الذى بلغ حد الغضب أحيانا كان أعضاء جماعة دار العلوم يتابعون خطتهم المرسومة في الإصلاح، ويدرسون المشاكل التعليمية

الهامة، ويضعون تقريراً مسبقاً أساسه الدراسة العلمية المجردة عن المهوى، يدونون فيه الأصول التي يجب أن تراعى في إعداد المعلم عامة، ومعلم اللغة العربية خاصة.

وقد تشرفوا برفع هذا التقرير إلى معالي وزير المعارف، وإلى قادة الرأي في البلاد، وليس لهم من وراء ذلك غرض إلا أن يكونوا من رسل الإصلاح، وهذه الناس إلى الخير. وقد نشرنا هذا التقرير برمته في هذا العدد.



ويتصل بهذه المشكلة - مشكلة إعداد المعلم - أمور من بينها أن زمن الدراسة بمعهد التربية للثنيين أصبح سنة واحدة بعد أن كان سنتين، ولست أدري ما الذي يستطيع الطالب دراسته في هذه السنة من علوم التربية وهي كثيرة العدد، واسعة المباحث؟ وهل يتسع أمامه مجال التمرين، وتطبيق ما قد يحصل من نظريات وأراء في تدريس المراد المختلفة؟ إن الأمم الغربية على اختلافها تعنى عناية شديدة بدراسة التربية دراسة علمية وعملية، وتجعل لها منزلة عظيمة بين الدراسات العالية، وليس من اللائق ومهتر تترسم خطا هذه الأمم في سبيل الرقي أن تكون دراسة التربية فيها على نحو ما انتهت إليه.

ولقد تقدم طلاب كلية الآداب إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف يطلبون إلغاء معهد التربية وإدماجها في كليتهم، والاعتراف بشهادة الكلية كشهادة فنية للتربية، ويسرنا أن نسجل هنا رد حضرة صاحب المعالي الوزير، قال:



« ليس من الميسور إلغاء معهد التربية وإدماج دراسته بكلية الآداب؛ لأن المعهد يلتحق به طلاب من كلية الآداب ومن كلية العلوم ليصبحوا مدرسين في المواد التي تخصصوا فيها، كما اقترحت لجنة ألفت سنة ١٩٣٧ برئاسة سعادة مدير الجامعة أن يلتحق بالمعهد من يهيئون للتدريس من غير أبناء الجامعة.

هذا وليس يكفي في تهيئة المعلم للتدريس أن يحصل على الدرجات العلمية، بل يجب أن يدرّب على نظام خاص، في جو مشبع بروح نظامية، يتسنى للمدرس

معها أن يطبق قواعد التربية تطبيقاً عملياً على وجه منتج؛ ولذلك كانت معاهد تخريج المعلمين في البلاد المتحضرة كلها قائمة بذاتها، لها نظمها ولها شهاداتها . ثم إن عدد المعلمين الذين تحتاج إليهم البلاد يجب أن لا يزيد على هذه الحاجة، ولذلك يجب أن يختار معهد التربية أصلح العناصر للتعليم في حدود هذه الحاجة، حتى لا يزداد عدد المتخرجين الذين يطلبون وظائف التدريس، فتضيق بهم، وتزداد بذلك مشكلة المعلمين المتعطلين حدة - ونحن جميعاً نحرص على تفادي هذه المشكلة ولا نريد أن نخلق أسباباً لتفاقمها »

وهذا هو الذي سجلته جماعه دار العلوم في تقريرها؛ إذ تقول: «إن أعداد المعلم يتطلب معاهد منظمة، وحياة منظمة، ولا تكفي في إعداد المسابقات العلمية ولا التنافس في الاستظهار، ولا فتح الباب لكل طارق

فالمعلم ليس كمثل من الحقائق العلمية، فهذه الحقائق مسطورة ميسورة، وليس عمله مقصوراً على تكوين المتعلمين من الوجهة العلمية فحسب، بل إن المعلم هو القدوة الصالحة في خلقه وسلوكه وعاداته ونظامه الفكري وأسلوبه في الخطاب وفي الحوار وفي الغايات السامية التي تطمح إليها الأمم في نهضتها »
ونعتقد مخلصين أن فيما صرح به حضرة المعالي وزير المعارف، وما سلجته جماعه دار العلوم في تقريرها الأسس الصالحة لحل المشاكل التي تتعاقب بإعداد المعلم.

العبارة في الأدب

قيمتها — صلاتها بالعناصر الأخرى — اختلافها — مقاييسها النقد

للمؤستاذ أحمد الشاذلي

المدرس بكلية الآداب

١

هذا هو العنصر الرابع والأخير من العناصر الأدبية العامة ، وقد ذكرنا فيما مضى العاطفة ، والخيال ، والفكرة ، وقلنا في كل منها كلمة طائفة . ويظهر مما سبق أن هذه العناصر الثلاثة هي جوهر الأدب وغايته ، المراد أداؤها أو نقلها إلى نفوس القراء والسامعين . وأما هذا العنصر اللفظي فوسيلة لهذا الأداء إلا أنه وسيلة لا تقل مكانتها عن سائر العناصر . وكيف ، وهي معرضها الظاهر ولسانها الصادق ، وصنعتها الفنية الممتازة ، حتى وضعها النقاد يازائها ، وقام ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » يعد اللفظ قسيم المعنى ، ويفرده بالكفاية في بحث الجودة الشعرية . ومهما يكن لنا من تعقيب على رأى ابن قتيبة ، فليس من شك أن اللفظ صورة الأدب ، ومظهره الخارجي لروحه الداخلي ، ورسوله الذي يسلمه إلى القراء .

وقد سميناه العبارة ، وأحيانا يسمى نظم الكلام أو الأسلوب ، ويدعوه بعض النقاد الغربيين : العنصر الصوري في الأدب The Formal Element in Literature وهذه التسمية الأخيرة تدعوني إلى التقييد ببعض الشيء بهذه المصطلحات الفرنسية ، لا لشيء إلا لأنها شاعت في أدبنا الحديث من ناحية ، ولأنها في حاجة إلى التعريب والإيضاح من ناحية أخرى .

علينا أن الأدب هو التعبير عن العقل والعاطفة ، سواء أكان ذلك شعراً أو نثراً ، وهذا التعبير معناه نقل الفكر والشعور إلى الآخرين ، وهو لا يتحقق

إلا بوسيلة أدبية ، فهذه الوسيلة تدعى الصورة الأدبية ، وهى بطبيعة الحال — وفى آخر مراحلها — هذه العبارة اللفظية التى تتألف ، تأليفاً خاصاً ، من الجمل والكلمات ، وتخضع للنظام الموسيقى الجميل .

ولكنك عرفت فيما مضى أن العاطفة — وهى العنصر الأدبى الأول — كثيراً ما تعتمد على الخيال لنستطيع الظهور والتأثير . فالخيال هو اللغة الحسية والطبيعية لتصوير العاطفة ونقلها إلى نفس الأديب القارىء ؛ لذلك كنا مضطرين إلى ملاحظة الخيال فيما نلاحظ ، حين تناول العنصر اللفظى فى الآداب . كذلك لا نستطيع إهمال الفكرة إذ كانت عماد العاطفة أولاً ، وكانت تحتل المكانة الأولى فى بعض الفنون الأدبية ثانياً ... أبعد هذا يمكن للدارس فصل اللفظ عن المعنى — أو الصورة عن المادة — كما قد يتوهم السذج السطحيون ؟ كلا ، فليس فى مكنة الناقد أن يدرس اللفظ ناسياً المعنى ، أو ينقد المعنى وهو يهمل اللفظ ويغفله ، ومثلهما فى التواصل ، وتبادل التأثير والتأثير — مثل الجسم والروح كلاهما شديد الصلة بالآخر متأثر بما يحدث له ؛ فقوة اللفظ من قوة الشعور ، ووضوحه من وضوح الأفكار ، وجماله من جمال الذوق ، كما أن غموض الأفكار كثيراً ما ينشأ عن فقر فى اللغة واضطراب فى الأداء والتعبير . وأخيراً هل تستطيع أن تنقد أو تدرس شكل التمثال منفصلاً عن مادته العاجية ، أو أن تكتفى بالعاج خاماً لفهم التمثال ؟

هذا حق فى الأدب يسير طرداً وعكساً فلا يمكن تخلفه ، وسبب ذلك هذه العاطفة التى تشبه حرارة الجسم الباطنية ؛ أى تغيير فى درجتها يبدو واضحا فى مزاج الإنسان وقواه . وإذا أردت مثال ذلك ، فافراً قول حسان بن ثابت : —
يُعْشَشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

مع قول الآخر : —

يُعْشَشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ أَبَدًا ، ولا يسألون من ذا المقبل ؟ تجد أن هذا (الآخر) غير فى عبارة الشطر الثانى ، فغير فى المعنى وأفسده من وجهين : أولهما أن كلمة (أبداً) فضول لا معنى له وإن ظن الشاعر أنه

مبالغة ، والثاني أنه جعل المقبل أدنى إلى القلة بعد ما كان سوادا في البيت الأول ومن الناحية الأخرى نجد أن هذا المعنى السقيم أفسد اللفظ من وجهين أيضاً : أحدهما هذا القطيعة التي بدت بين الشطرين بسبب هذا الطرف الأبدي حتى اضطر الشاعر إلى واو العطف التي تربط الجملتين ربطا صناعيا . والثاني ما نحسه في البيت الأول من الموسيقا والتناسق الذي ربط الشطرين ربطا محكما لطيفا لا نحسه في البيت الثاني .. وذلك ناشئ من العزوف عن المبالغة الفضولية ، ووضع الشطر الثاني بالنسبة إلى الأول موضع الاستئناف النحوي ، أو العطف المعنوي ، أو الحال إن نفع الحال .

ونذكر مثالا آخر لتبين هذه الصلة — في التعبير — بين العبارة والخيال ، وما كان من أثر ذلك في قيمة النص الأدبي ، قول أبي وجزة : —

أناك المجد من ههنا وههنا وكنت له كمجتمع السيول

مع قول منصور الفري : —

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
فالخيال في البيت الأول يجعل الممدوح مستقرا تتوالى عليه أسباب المجد ، فكان كمجتمع السيول ، وهذا التشبيه مهما يكن مغزاه العقلي — لا أراه جميلا . ولكن الخيال في الثاني جعل الممدوح متحركا بعون الله ، ثم مختارا أحسن المواقع ، وذلك فوق تصوير المكارم والمعروف تصويرا حسنا ، فهي أودية الخصب والخيرات . وانظر إلى مظاهر ذلك في موسيقا البيت الثاني ، وكلماته المتألقة ، ثم كمال الاتصال الوصفي الذي أغنى عن الواو . . . مع خلو من التكرار . مظهر الإعجاب بالنص الأدبي موزع ، بين عناصره جميعا ، أو بين اللفظ والمعنى ، لا ينفرد أحدهما بالإعجاب أو الزاوية دون الآخر . وحين نصف أبا العتاهية — مثلا — بسهولة اللفظ نكون متأثرين في ذلك إما بموازنته بغيره ، وإما بقلّة معانيه العيون حتى تغلب اللفظ ، ووضحت سهولته الممتازة . . . وإن كان الحق أن هذه السهولة تنسك على المعنى ووضوحه إلى حد كبير . وهنا نذكر ابن قتيبة حيث يقول عن الشعر : « وضرب منه حسن لفظه وحلا ،

فإذا أنت قنشته لم تجد هناك طائلا، وهذا الصنف في الشعر كثير، ونحو منه قول جرير :-

إن الذين غَدَوْا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا
غَيَضُنْ من عبارتهن وقُلْنَ لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟
نعم نذكر ابن قتيبة لندل (أولا) على أن في مثل هذا الشعر طائلا قويا
عماده العاطفة الصادقة، والخيال الجميل، كما شرحنا ذلك قبلا، (وثانيا) على أن
هذا الحسن الذى سحره ليس من ناحية اللفظ وحده، وإنما للمعنى فيه حظ وافر،
وكان الجمال اللفظى صدى لجمال المعنى .

- ٢ -

ولكن ما حاجة النقد الأدبى إلى هذه العناية بما بين اللفظ والمعنى من
صلات ؟

الحق أن مقاييس النقد قائمة على هذه الصلة، فليس للعبارة الأدبية قانون
نقدى أصح ولا أعم، من قدرتها على الإفصاح عن المعنى، ومن هذه الملائمة
التي تجعل العبارة مرآة مجلوة لمضمونها، وصدى موسيقياً لما تؤدي من
فكر وشعور .

(١) فإذا كانت المعانى حقائق علمية خالصة لا دخل للعاطفة فيها، كان من
السهل الحصول على عباراتها، إذ أنها تتألف من ألفاظ اصطلاحية، وكلمات
عادية سهلة نشأت من الوضع اللغوى قديما أو حديثا، واللغة كما هو مقرر إنما
وضعت أول أمرها بإزاء الأفكار لتعبر عنها؛ لذلك لا تجد الكتاب يختلفون
كثيراً في أداء هذه الحقائق، وهم إذا اختلفوا كان اختلافهم يسيراً لا يؤثر
في جوهر المعنى . فقولنا : « إن زوايا المثلث تساوى قائمتين » لا يخالف
قولنا : « إن الزاويتين القائمتين تساويان مجموع زوايا المثلث » في جوهر المعنى
المراد . دعنا من تغير الأوضاع اللفظية، والاعتبارات النظرية .

والنقد الأدبى - وإن كان ضعيف الصلة بهذا النوع من الكلام - يعتمد
في تقديره، على الوضوح، وليست هذه الصفة سهلة التوافر، فإنها تتطلب أموراً

نسبية، وعقالية، ولغوية، لا يحظى بها إلا قليل. فالإخلاص للفكرة، والحرص على عرضها كما هي، أول مطالب الوضوح، ثم فهمها فهماً عميقاً شاملاً محدوداً بحيث لا تختلط بسواها، ولا تقتضب اقتضاباً يشوه صوابها، وأخيراً هذه الثروة اللغوية، والدقة في اختيار الكلمات، والقدرة على التمييز بين التراكيب التي تعد جامعة مانعة.

وكتب الطبيعة والكيمياء والرياضة، مثال صادق لهذا الأسلوب العلمي إنساني، فإذا لم يتوانر الوضوح استطاع النافذ البارِع أن يرد ذلك إلى أحد أسباب ثلاثة: إما أن الكاتب لا يفهم ما يريد أدائه، فلما فقد الوضوح في عقله وفهمه في عبارته، وإلا فكيف يفهمنا شيئاً لا يفهمه هو؟ وإما أنه فقير في هذه الوسيلة اللغوية فلم يستطع أن يصوغ من محصوره الضئيل عبارات هي كفاء ما في عقله من الأفكار، وتكون معانيه كالأسير المقيّد في الأغلال، يحاول الإبلات بقوته الذاتية فمنعه هذه الكبول، فيبدو التعبير مضطرباً متناثراً العاصر. وإما أن القراء أنفسهم ليسوا في المستوى العقلي الذي يعينهم على فهم الخلق التي يعالجها الكاتب... وإن كان البليغ التام هو الذي يستطيع أن يصع الأفكار العالية في عبارات يفهمها سائر الناس.

(٢) وإذا كانت المعاني حقائق عقلية مستها العاطفة، وخلعت عليها ثوباً لصباً يجعلها سائغة مقبولة كناً أمام الأدب بمعناه العام - كالتاريخ والقدا الأدبي - أو كناً أمام العلم بمعناه العام، وإنما أريد هذه المعارف التي يستعان على إفهامها وإساعتها بعاطفة من الاخلاص، أو المحبة، أو صدق التصوير لئلا تكون جافة، أو جسماء لا روح فيه. وهنا يضطر التعبير أن يتجاوز هذه اللغة العفنة الخالصة إلى لغة أخرى وسط بين العقل والشعور، أو فيها من العبارات العقلية العاطفية بقدر حظ المعاني من هذين العنصرين، فتقرأ المقالة السياسية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو التاريخية فتدرك منها شيئين: الأفكار العلمية التي يراد أدائها، ثم العاطفة التي تستيقظ في نفسك فإذا بك مقبل على الكاتب وموضوعه، أو معرض عنهما، أو ما شئت من هذه النزعات

الوجدانية التي تطيف بنفسك عقب القراءة أو في أثناءها . وإذا دخلت العطفة كان لابد لنا من ابتكار لغة أخرى خاصة بها ، لغة لا تجددها في معاجم اللغة . ولا في كتبها العلمية ، هي لغة الخيال أو الصور البيانية التي ذكرناها في أحد الفصول السابقة ، وهذه اللغة تمثل فيها المصطلحات بقدر ما يظهر فيها التعبير وتسودها الرشاقة والخفة بدل النحيد والتزمت ، وتخطب العقل والشعر بعد ما كانت عقلا خالصاً ، وهي مع ذلك مقيدة بالعقل إذ كانت لغة نعمة يقصد بها الإفادة ، وكان التأثير فيها وسيلة إلى تلك الغاية المقصودة . فكيف تنقد هذا التعبير ؟

لا يزال الوضوح هو المقياس الأول في هذا الباب أيضاً ، ما دام الغرض من الكتابة هنا هو الإفادة والتنقيف . ولكن لما كان هذا العلم ليس ربة ولا كيمياء فقد برى أسلوبه من هذه الرموز الجبرية والحسابية ، وصار الوضوح نظريات عامة ، ومنطقاً مرناً ، وآراء سديدة معقولة . ولما دخلت العاطفة وسيلة في هذا الأدب العام ، اضطر النقد أن يشرك مع الوضوح مقياسين آخرين ثانويين ، مكاتهما بقدر مكانة هذه العاطفة : النوة والجمال ، ولابد أنك أدركت أن هذين المقياسين إنما دخلا بدخول العاطفة فهما لذلك ثمرتها وآثارها ، فالقوة من قوة العاطفة التي هي الإخلاص للعاني والحرص على إيضاحها وإذاعتها ، والجمال من جمال الذوق وتأثير الموسيقى ، أو حركة العاطفة وأدائها الداخلية . واكتفى هنا بها القدر إذ أتى سأعود إلى الكلام في هذه الصدت بعد قليل .

(٣) وهنا الأدب بمعناه الخاص أو الأدب الخالص : حيث تتقدم العاطفة فتحتل المكانة الأولى ، ومعها أو بعدها بقايل تأخذ الفكرة مكانتها ، فتجد شعر الغنائى ، والنثر الأدبى الممتاز : رسالة ، وقصة ، وخطابة ، ووصفا ، ورواية ونحوها من هذا الأدب العاطفى ، الذى يرمى إلى إثارة انفعالات ، معتمداً على الأفكار باعتبارها وسائل تسند العاطفة وتعينها على القوة والخلود . ومعنى هذا أننا أمام فن تكاد تتوازن فيه العناصر المعنوية ، ففيه الأفكار التي يجب أن

تعبه ، والعواطف التي تثار ، والخيال الذي يصور ، كل ما يكون بينها من
المدون ، الذي تتضمنه طبيعة الموضوع أو شخصية الأديب .

وهذه الطبيعة الفنية ، تعوزها لغة ممتازة تتوافر لها خواص فنية تلائم
ما يؤدي من المادى . هذه اللغة العاطفية تخالف لغة العقل السابقة مخالفة شتى
مظهر ، ولكنها ترجع إلى أصل واحد : ف لغة العقل طبيعية صريحة ، ولغة
الطبعة ابتكارية رمزية ، هذا هو الفارق الأساسى . أجل ، هناك فرق بين
فيلك : « قضيت في بغداد أيام الصبا والشباب » وبين قول ابن الرومى : —

لقد صحبت به الشبية والصبا ولبست ثوبَ اللهو وهو جديد
فإذا تَمَثَّلَ في الضمير رأيتُه وعليه أغصانُ الشباب تَمِدُّ

فالعبرة الأولى (١) لغة المعاجم التي وضعت بإزاء المعانى المحدودة، وصارت
حنا مشتركا بين جميع المتكلمين (٢) وهى مع ذلك تقول كل شىء يطلب منها
لا تحمل العقل على عمل آخر، يكمل به أصل المعنى .

أما هذا الشعر (١) فلغته ابتكارية خلقها الشاعر بمساعدة الخيال : فالصبا
صديق مصاحب ، واللهو ثوب قشيب يلبس ، وبغداد شىء تتمايل عليه أغصان
الشباب . فنال هذه العبارات ليست من أوضاع اللغة ، بل من خلق الشعراء
ولاداء . (٢) وهى بعد ذلك لغة موجزة ترمز إلى المعانى ولا تكملها ، فترك
الذهن أو للخيال مجالا يسرح فيه ليكمل ما نقص ، ويستنبط ما يحلو له من
السرور ، مشارك الشاعر في كمال النصر والاداء . فعبارة « صحبت الشبية ،
ولبست ثوب اللهو » توحى بحب الشباب والتعلق بأسبابه ، والحب فى مناحي
السرور والعبث . ثم انظر أية صورة تتمثل فى الذهن لهذا الشطر الأخير ، وأى
معان توارد على الخاطر ؟

لا نستطيع هنا استقصا المظاهر اللفظية لهذه العبارة العاطفية ، ولا دراسة
أسبابها ، فقد يكون ذلك شأن علم البلاغة ، وكل ما تسمع هذه الصحيفة بذكره
أن نلاحظ (١) رشاقة الكلمات ، وتآلف الجمل . وسلاستها (٢) ثم هذه
نسور الخيالية الجميلة التي يعرضها الخيال (٣) وهذا النغم الموسيقى العام أو السحر

التعيرى الذى كثيراً ما ندركه ونعجز عن وصفه وتعليقه :-

إنَّ بينَ الكُثيبِ فالجُزَعِ فالآرامِ رَبْعاً لآلِ هَندٍ مَحِيلاً
أَبْلَتِ الرِّيحُ والرَّوْاحُ وَالْأَيْسَامُ مِنْهُ مَعَالِماً وَطُلوْلاً
وبَكَاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يَرِدُ إلَى شَوْقِ ذِكْرٍ وَالْحُبُّ نَضْرَاضٌ يَلا
لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ طَوِيلاً بِنِعْمِ نَّ ، وَلَكِنْ كَانَ الْبَكَاءُ طَوِيلاً
فقد تضيئ إلى ماسبق ، جمال الوزن العروضى ؛ وعبقريه البحرى ؛
ولكنك لن تفلت أبداً من الاعتراف بأن هذا الجمال الموسيقى يعرّداً ولا واحداً
إلى عاطفة الشاعر الرقيقة ، الحربة الوفية ، وإلى حسن ذوقه فى اختيار لغتها التى
صارت صدى لعاطفته وكفى .

- ٣ -

وإلى هنا كنت حريصاً على استعمال كلمة « عبارة » دائراً حولها ، لا أتجاوزها
إلى سراها . ولكن هناك كلمة أخرى حيت فى هذا العصر الحديث ، وسيطرت
على البيئات العلمية والفنية ، ولها فى النقد الأدبى سلطان عريض . هى كلمة
الأسلوب Style وهى كلمة تطلق بشئ من التجوز على هذا العنصر اللفظى الذى
نكتب فيه ، ويعرف الأسلوب بأنه طريقة التعبير ، أو التناول . وإلى أن
تتاح لى فرصة الكلام فيه هنا أو هناك ، أراى مضطراً إلى التقريب بينه وبين
كلمة « عبارة » حتى أسهل على نفسى وعلى القراء السير بهذا الفصل إلى غايته
فكيف نقدر الأسلوب الأدبى أو هذه العبارة الأدبية ؟

بهذه المقاييس أو الصفات الثلاثة : (١) الوضوح (٢) والقوة (٣) والجمال
وقد تقدم القول فى الوضوح . فلنقل كلمة موجزة فى كل من المقاييس
الآخرين .

لا يمكن تحقيق القوة الأسلوبية قبل توافر الوضوح ، فهذه الصفة التى
مضت هى الأساس الأول لتحصيل الثانية . والمصدر الأول لقوة الأسلوب
هو نفس الأديب ، وإنما أعنى قوة العاطفة والإرادة ، وهذه القوة تنمو فى
النفس بشيئين اثنين :

(١) قوة العقيدة والنقطة في صحة الأفكار ، والنشيب بها ، دون شك أو اضطراب (٢) ثم الإخلاص لها ، والحرص على أداها كما هي ، والرغبة الصادقة في نشرها وإذاعتها .

فعن هذين نجد حرارة تنبعث في الكلمات والتراكيب والعبارات ، ونتيجة ذلك أن يشعر القارئ النافذ بأن هذا النص الأدبي يصدم عقله ، ويحمله على التفكير العميق ، وينقله من هذا الخزل أو الهدوء الذي يلبس العبارات العلمية الخالصة أو العادية الفاترة . قال المتنبي : —

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيوف والفتك البكر
وتضرب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويلاً كأنما تناول سمع المرء أنمله العشر

فهذا (١) الرنين الذي يطن في آذانك (٢) والروعة التي تملك نفسك (٣) والرأى الذي يلفت نظرك أو يوقظ عقلك وبصيرتك . . كلها ثمرة (١) لا عتزاز أبي الطيب برأيه (٢) وإخلاصه له (٣) وحرصه على إذاعته ، فكانت هذه الخواص الأولى أصداً للأصول الثمانية . ثم اقرأ قول زياد في خطبته البراء :

« أما بعد فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والغنى الموفى بأهله على النار ، مانيه سفهاؤكم ، ويشتعل عليه حلساؤكم . من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ... حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً . . » ولا تظن أن هذه الجلجلة الصاخبة تهب عليك من حدود الألفاظ والعبارات ، لأن مهيبها الحق ، بعيد عن ذلك عميق ، هو سخط زياد وجبروته . هو شعره القوى ، وإرادته الصارمة التي جذبت إليها كفاء هامة من التراكيب ، ونظمها نوافيس داوية ، هتافة بالذر ، حتى تم لزباد ما أراد . ثم ارجع إلى القرآن الكريم ، واستمع إلى أكثر السور المسكية ، تسمع النمل الأعلى ... في القصص ، والتقريع ، والإنذار .

كذلك الجمال مصدره الأول الذوق ، أو هذه الملازمة بين المعاني والألفاظ ؛

لتكون البازية لغة صادقة طبيعية للأولى . وهنا نبيه إلى أن اجمال هنا معناه الصدق . ودقة التصوير لما في النفس . فلسنا نعنى بغرامة اللفظ . ولا بالمحسنات البديعية ، ولا بالصنعة أيا كان نوعها .

وهذا الجمل يقرم في العبارة على (١) برامتها من الكلمات الخمسة النامية (٢) وعلى المناسبة بينها وبين موضوعها ومعانيها . لنسمع منها موسيقيا صادقا - رحيمة أو صاحبة ، ياكية أو بهيجة ، يانسة أو آملة - لماذا ؟

لأن النفس التي تكتب رخيمة أو صاحبة - فيدرك القارئ ، أو السامع بأذنه وذوقه ما في نفس الأديب إدراكا صادقا ، لأن جمال الأسلوب معناه صدقه في الأداء ..

ولسنا هنا في حاجة لتزرد أمثلة جديدة ، فهذا البحرى في قصيدته التي مطلعها :
ذاك وادى الأثر اك فاحبس قايلا مقصرا من صباية أو مطيلا
والتي منها الآيات السالفة . . يسمعك موسيقتا نفسه الوفية الحزينة ، في كلمات هي الألحان الرقيقة المتناسقة .

وهذا أبو الطيب يسمعك من نفسه موسيقاها الساخطة الصاخبة حيث يقول
ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى ربحه غير راحم
وحيث يقول :

مُلِثَ القَطَرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقَهَا الشَّمُّ النَّقِيعَا
أَسْأَلُهَا عَنِ الْمُتَدِيرِ فِيهَا فَلَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دَمْرُهَا

وهذا القرآن الكريم يعرض علينا في آيات متتابعات من سورة الزمر منه .
الفرع الأكبر ، تنلوها نغمة الممرة الطريفة ، فصوت الحق الكبير « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » صدق الله العظيم ؟

الأسلوب

للمؤستاذ عبد الوهاب محمود

المدرس بكلية الآداب

— ١ —

الأسلوب في اللغة الطريق والمذهب .

الأسلوب في اصطلاح أهل الآدب، هو الطابع الخاص، الذي يطبع به الناظم أو الناثر تعبيره .

أو هو القالب الذي يصوغ فيه الآديب تعبيره، عند إرادته الإفصاح عن فكرة أو عاطفة . وهو صورة من النفس، ولون للذهن، ومرآة للخلق .

ومن ثم قيل: أسلوب جاحظي؛ لأنه مرآة صافية لطبعه، وصورة ناطقة لمزاجه، ورسم واضح لآلوان ثقافته .

وكذا قيل أسلوب بديعي، لأن بديع الزمان قد طبعه بطابعه، وصبغه بأصباغ نفسه، وخلع عليه ألوان مزاجه .

مثال الأسلوب هو صورة للنفس ولونه للذهن:

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا البلاغة .

قال الجوهري: أحسن الكلام نظماً ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة،

ووصل جره معانيه في سميوط ألفاظه، فاحتملته نخور الرواة .

وقال العطار: أطيّب الكلام ما عجن عبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم

شقه، وسطعت رائحة عقبه، فتغافت به الرواة، وتعتطرت به السراة .

وقال الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته بمشاعل النظر،

وحلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز في معنى وجيز .

وقال النجار: خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقدرم التقدير، ونشرته

بمشار التدوير، فصار باباً لبيت اليان، وعارضة لسقف اللسان .

وقال الجمال: البليغ من أخذ بخطط كلامه فأناخه في مبرك المعنى، ثم جعل

الاختصار له عقلا ، والإجادة له مجالا ، فلم يند عن الآدان ، ولم يشذ عن الأذهان .

الفرق بين الأسلوب والتعبير والعبارة

الأسلوب قد تقدم تعريفه ، وبين معناه .

أما التعبير فهو الإبانة عما في النفس ، والإعراب عما يحول بالخاطر ، وهو بهذا التحديد في كل الفنون ، غير أنه يختلف في الأداة بحسب كل فن . فالتعبير في الموسيقى أدوات النغم ، وفي النقش أداته الألوان ، وفي الأدب أدواته الألفاظ . ثم أطلق على الألفاظ نفسها المختارة المستعملة في الإبانة والإعراب طبقة لقواعد اللغة .

أما الأسلوب فهو الوصف العام الذي تمتاز به تلك التعابير ، والظاهرة الواضحة في ملامح تلك الألفاظ .

فتلا الإيضاح بعد الإبهام تعبير ، والتكرير تعبير ، والاعتراض تعبير . يجمع كل هذه التعابير وصف واحد هو الإطناب ، فيقال للأسلوب الذي شاعت فيه هذه التعابير مطنب . وهكذا الشأن في الإيجاز والتفخيم ، وغير ذلك من أوصاف الأسلوب .

فالتعبير إذن جزء من مقومات الأسلوب ، وليس هو الأسلوب نفسه . أما العبارة فهي مختصة بالكلام الذي يعبر من المتكلم إلى السامع .

عناصر الأسلوب

إذا أردنا التحدث عن أسلوب كاتب ما ، أو شاعر ، أو خطيب ، أو قاص ، وجب علينا أن نبحث لذلك عناصر ثلاثة ، هي مقومات الأسلوب وأركانها .

| | |
|---------------|----------------------|
| العنصر الأول | التعبير . |
| العنصر الثاني | الأفكار أو المعاني . |
| العنصر الثالث | الوجدان أو العاطفة . |

ولكل عنصر من هذه العناصر صفات يجب أن تتوافر فيه ، حتى يصح أن يوصف بالجودة والجمال .

مفاتيح التعبير

للتعبير ست خصائص .

- (١) السهولة : وتعرف أيضا بالسلاسة ، والظرافة ، والقطرة .
- (٢) الانسجام : ويعرف أيضا بالعدوثة ، والحلاوة ، والاتساق .
- (٣) حسن الاختيار : ويعرف أيضا بالصفاء والغربة والنقاء ، فيقال أسلوب مصني ، وأسلوب مغربل ، وأسلوب منخول ، وأسلوب نقي .
- (٤) حسن النظم : ويعرف أيضا بجمال الرصف ، وكمال الصوغ ، وصحة السبك ، وجودة السبك ، وحسن التأليف ، وجمال التركيب ، واستواء الظم والتثام الرصف .
- (٥) الطلاوة : وتعرف أيضا بالرونق والرواء ، فيقال لأسلوبه رونق ، وله رواء .
- (٦) التناسب : ويعرف أيضا بالنشابة ، وائتلاف الألفاظ مع المعاني .

لهذه الصفات أعداد يوصف بها الأسلوب الردي . البشع .

- (١) ضد السهولة : التكلف — التصنع — التعمل .
 - (٢) ضد الانسجام : الفتاة — قلة الحلاوة — عدم الاتساق — التناقض .
 - (٣) ضد حسن الاختيار : سوء الاختيار — الابتال — السوق .
 - (٤) ضد حسن الظم : سوء الظم — قبح الرصف — سماجة التركيب — حيف التأليف — أوردالظم .
 - (٥) ضد الطلاوة : القفورة .
 - (٦) ضد التناسب : عدم التناسب — عدم الائتلاف .
- وللقاد نماذج أخرى لا يخرج عن هذه المعاني .

١ - السهولة

السهولة أو الظرافة هي أن يأتي الناظم أو البائر بأنفاظ سهلة بعيدة عن التكلف، بريئة عن التصنع، خالية من الأنواع البديعية، إلا أن يأتي ذلك في ضمن السهولة عفواً من غير قصد. وهي تدل على رقة الحاشية، وحسن الطبع، وسلامة الذوق.

قال باسكال «عند ما يقرأ الإنسان أسلوباً فطرياً يعجب به ويفتن، لأنه يؤمل أن يشاهد بين سطورهِ مؤلفاً قادراً، ورجلاً حقاً»
وقال جعفر بن يحيى: «البلاغة أن يكون الاسم سليماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة»

وجاء في الصناعتين:
«والكلام إذا خرج في غير تكلف، وكده، وشدة تفكير وتعمل، كان سلساً سهلاً، وكان له ماء ورواء، وعليه فرند (وشى) لا يكون على غيره، مما عسر بروزه، واستكره خروجه»

الأمثلة

قال تعالى: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال، من يحيى العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فإذا أنتم منه توقدون. أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم»
وقال الشاعر:

أليس وعدتى يا قلب أنى إذا ماتت عن ليلى تترب
فها أنا نائب عن حب ليلى فإلك كلما ذكرت تذوب
والهاء زهير قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه يقول:
سیدی قلبی عندک سیدی او حشت عبدک
اترى تذكر عهدى مثلاً أذكر عهدك؟

أترى تحفظ ودى . مثلما أحفظ ودك؟

وهناك نوع من السهل يعرف بالسهل الممتنع، أو السهل المطمع وهو الذى يس من سمعه تسهولة ألفاظه، وعذوبة كلماته، أنه قادر على الإتيان بمثله، فإذا أراد الإتيان بمثله عن عاينه مثاله، وعجز عن النسخ على منواله.

قال العباس بن الأحنف:

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان
وكتب عبد الحميد الكاتب موصيا بشخص:

«حق مرسل كتابي عليك كحته على: إذ جعلك موصعا لأمه، ورآنى أهلا لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمه»

ومما يجب التنبيه إليه أنه لا يراد بالأسلوب السمع السهل أن يكون ضعيفا كيكاً، أو نازلا سافطا، وإنما يراد النمط الأوسط، وهو الذى ارتفع عن سافط السوق، وانحط عن البدوى الخوشى، مع بعد عن الصنعة، وبراءة من الكلف. غير أن هذا النوع من الأسلوب يقتدر إلى صبر طويل، وجهد عسير.

٢ - الانسجام

الانسجام هو أن يصاغ الكلام سهل المساق، عذب المذاق، متحدرا فى لاسماع كتحدرد الماء المنسجم، خاليا من العقادة، وتكلف السبك، يكاد بسهولة تركيبه، وحلاوة ألفاظه يسيل رقة وعذوبة.

فإن كان الانسجام فى النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد، حتى يكون له فى القلوب وقع، وفى النفوس تأثير، وأغلب ما يعتمد عليه هذا النوع أمران: الرشاقة والموسيقا.

والموسيقا فى اللغة العربية ذات شأن وبال، قد يضجى فى سبيلها بكثير من الشهود، ويتجاوز من أجلها عن كثير من التقاليد، وهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها المألوفة للحصول على الموسيقى.

قال النبي ﷺ وهو يرقى الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ولم يقل « ملية » وهي القياس ، وذلك للانسجام والاتزان .

وقال تعالى « والفجر وليال عشر » ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر » ، حذفت الياء من « يسرى » طلبا للموافقة في النغم ، والاتفاق في الجرس .
قال تعالى « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ، وما تزداد » ، وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .
ولم يقل المتعال حرصا على الانسجام ، وطلباً لجمال الاتساق ، وعذوبة المساق .

ويتم الانسجام إذا لوحظ ما يأتي :

١ — خلوص التعبير من التناثر .

٢ — اتساق جرس الكلمات ، واتفاق نغمتها ، وتلاؤم موسيقاها . على أن هذا لا يتكرر ولا يتوالى ؛ لأنه إذا تكرر أو طرد يدل على التكرار ، وشدة التصنع ، وإنما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر . مثال ما كثر فيه ذلك حتى دل على التكلف قول أبي صخر الهذلي :

عذب مقابها ، جدل مخلاها كالدّ عص أسفلها ، محضورة القدم

سود ذوائبها ، بيض ترائبها محض ضرائبها ، صيغت على الكرم

عبل مقيدها ، حال مقلدها بض مجردها ، لفاء في عم

سمع خلقتها ، درم مرافقها يروى معانقها من بارد شيم

فهذا الاتساق لما توالى . لم يحسن ، وذهب بالتكرار جماله ، فإن العبارات إذا تكررت وتوالت في ثوب واحد ، ونغم مطرد ، دل هذا على التكلف ، وشدة التصنع ، وأحدثت في النفوس مللا وسأما . إلا إذا كان المقام يقتضي ذلك ، كما في قصيدة مهلهل التغلبي يرثي كليباً ، وكما في قصيدة الحارث بن عباد . وكما في سورة الرحمن ، وفي سورة قل يا أيها الكافرون ، والمرسلات .

ج — التوزيع في الجمل حتى لا تملها الأسماع ، وتنفر منها الطباع

ولا سيما في الأسلوب الخطابي ، فيدعى أن ينوع الخطيب من إخبار ، إلى استفهام ، إلى تعجب ، إلى إنكار .

من أمثلة أثر في ذلك خطبة اعلی بن أبی طالب ، في ذم أهل البصرة ، في وقعة الجمل : كنتم جند المرأة ، وأتباع البهيمة ، رغا فأجبتم ، وعتر فهربتم . أخلاقكم رفاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم تنفاق .

ومن خطبة له أيضا حين انتهى إليه أن خيلا لمعاوية ، وردت الأنبار ، فبتلوا عاملا يقال له حسان بن حسان ، فخرج مغضبا يجر ثوبه ، فرقى رباوة من الأرض . حمائله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة وفيها يقول :

يا عجب كل العجب ، عجب يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الإحزان ، من نصر رهؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حتمكم ، حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ، ويغار عليكم ولا تغيرون ، ويمضى الله عز وجل فيكم وترضون ، إذا قلت لكم : اغزوه في الشتاء قلتهم : هذا أوان قروصر ، وإن قلت لكم : اغزوه في الصيف قلتهم : هذه حمارة القيظ ، انظرونا ينصرم الحر عنا ، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأتمم والله من السيف أفر .

يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا غلام الأحرار ، ويا عتول ربات الحجال .

٣ - مسرعة الانقياد

هو أن يتخير الناظم أو النثر من الألفاظ والتراكيب أرجحها وزنا ، وأشرفها جوهرا ، وأليقها في مكانها ، حتى لا تكون اللفظة قلقة في موضعها ، نائرة عن موطنها ، فإنها إذا كانت كذلك هجنت الموضع الذي قصد تحسينه ، وأفسدت المكان الذي أريد إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، والقصد بها إلى غير مطابقتها إنما هو كترقيق الثوب الذي إن لم تتشابه رقاعه ، وتقتارب أجزائه ، خرج عن حد الجودة ، وتغير حسنه ، وتشوه جماله .

فالكلام الجيد الاختار هو ما استوفى الأمور الآتية:

أولا - الدقة: وتعرف في البدیع بحسن البيان، وهو الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة، بعيدة عن اللبس. إذ المراد من البيان إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة، وإيصاله إلى الفهم بأسهل الطرق، وأحسنها وأدقها.

وهذا قد يكون تارة من طريق الإيجاز، وطورا من طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال، وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقةها. فإن للإيجاز موطن تليق به، وللإطناب مقامات يحسن فيها، وسند كرها عند الكلام على الإيجاز والإطناب وعكس الدقة التطويل والحشو والتفصيل في أمور تافهة، لا تجدى في الموضوع نفعا، ولا تمت إلى الغرض بسبب.

مسأل الرقة:

قوله تعالى: في سورة القصص.

«ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقاتلان، هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقتل عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب أنى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للجرمين. فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي أسرعه بالأمس يستصرخه، قال له موسى إلك لغوى مبين. فلما أن أراد أن يطرش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة يأمرون بك بالهوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب، قال رب أنجي من القوم الظالمين.

ولما توجه تلقاء مدين قال عيسى ربي أن يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نستقي حتى يصدر الرعاء وأبرونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير .

فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر مسقت لنا، فلما جاءه وقص عليه النقص قال لا تخف، نجوت من القوم الظالمين . قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين . قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج وإن أمنت عشرة فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين .

قال ذلك بنى ويذك أئما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل .

• ندقة هي معرفة المقامات وما يصلح لكل واحد منها من الكلام ، مدين ، يحجاز وإطنا ب . فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة لأن ذلك جهل بالمقامات ، وبما يصلح في كل واحد منها من الكلام ، فكذلك منام مقال . والواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس ، فيحاط السوق بكلام السوقة ، والبدوى بكلام البدو ، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه فذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب .

كان الكوفة رجل لا يتكلم إلا بالغريب ، فخرج إلى ضيعة له على حجر (الأش من الخيل) معها مهر، فأتمت فذهبت ومعها مهرها، فخرج يسأل عنها، فربخياط فقال:

• ياذا النصاح، وذات السم الطاعن بها في غير وغى لغير عدى، هل رأيت
الخيفانة القباء، يتبعها الحاسن المبرهن؟ كأن غرته الثمر الأزهر، ينير في حضره
كالخلب الأخرز، فنال الخياط: اطلبها في ترلج. فقال: ويحك، ما تقول؟ فيحك
الله، فيأني ما أعرف رطانتك! قال الخياط: لعن الله أبغضنا لفظا، وأخطأنا منطقا!!
فينبغي ألا يصوغ الأديب كلامه في قالب من غريب الكلام ونادره إلا
عند من يفهمه عنه، ويتبمله منه.

فإن استعمال الغريب لا يعاب على العرب، لأنه لم يكن عندهم غريبا. ولا
لديهم وحشيا بل شائعا بينهم، دائرا على ألسنتهم في نظمهم ونثرهم، وأعظم
شاهد لاستحسان استعماله عندهم، ووضوح منهجه لديهم، أن القرآن الكريم
الذى هو أفصح كلام، وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك.
كقوله تعالى «ويذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب»
واصب أى دائم

وقال تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى كفور لنعمته، وما أشبه
ذلك. وهذه الألفاظ كانت منومة عند العرب، معلومة المعاني عند المخاطبين. لأن
الله تعالى قد خاطبهم به، وأمرهم فيه، ونهاهم، والخطاب بما لا يفهم بعيد. وقد ورد
في الأخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك، وهى المعبر عنها بغريب الحديث
كقوله ﷺ (ألظوا ياذا الجلال والإكرام) أى الزموا هذه الدعوة
وأكثرُوا منها.

الشرح: النصاح الخيط والنصاح الخياط - وذات السم الابرة ذات النقيب - الخيفانة الثمر
الطويلة - القباء: الدقة المختصر، الضامة البطن - الحاسن من حسن يحسن - المبرهن: المبرهن
الخلب الأخرز - البرق الذى لامر فيه يضرب به المثل في السرعة، وهو حديث من غير
كان أسرع من البرق الخلب، وإنما خصه بالبرقة لحفته الخلود من المطر - والأخرز: الصبي العيب -
وترلج كلمة لا معنى لها وإنما قصد بها التهم.

وكقوله عليه السلام (ويل لأففاع الدول، ويل للمصرين) عني به، الذين يكثرون استماع الأقوال، واختلاف الكلام. فيكون ذلك ثلما لدينهم، وقادحا في دينهم. فثبته عليه السلام آذانهم بالأففاع التي يفرغ فيها ضروب القول إفراغ المناعات، وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى؛ لأن الآذان هي الطرق التي يرسل منها إلى الصدور، والأنقاب التي يدخل منها على القلوب، فهي أبواب موصلة، وطرق مبلغة.

للجئت بغيره

عبد الوهاب محمود

القصص

معناه ، أنواعه ، شروط جودته ، نماذج منه

للمؤستاذ محمد سعيد العريانه

القصص في اللغة : تتبع الأثر ، وإعلام الخبر ، والرجوع على الطريق ، وفي القرآن الكريم : « فارتدا على آثارهما قصصا » : أى رجعا من الطريق الذى سلكاه .

وقص الحديث : روايته على وجهه .

والقصة : الأمر ، والحديث المكتوب .

ومن معاني القصص : البيان : قال تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص » أى نبين لك أحسن البيان .

وفي اصطلاح أهل الأدب : هو ذكر قول أو فعل ، حدثاً أو أمكس حدهما ، أو هو حكاية حادث متحقق أو متخيل لا يبعد كثيراً عن حدود الحقيقة والإمكان العقلي .

فليس ثمة فرق كبير بين الوضع اللغوى . واصطلاح أهل الأدب في تحديد معنى النصص ، فهو عند هؤلاء لا يعدو أن يكون من رواية الخبر ، أو تتبع الأثر ، أو الرجوع على الطريق ، ولكنه في التحديد العرفي يزداد عن معناه اللغوى عنصراً جديداً : هو التسميح بحكاية حادثة متخيلة ، لا تعد كثيراً عن حدود الإمكان العقلي . وبمقدار الفرق بين المعنى الوضعي لكلمة (القصص) وبين معناها عند أهل البيان ، نجد الفرق نفسه بين القصة في العربية لأول عهدها ، وبينها في الأدب الحديث ، فما كان عند العرب ولا فيما أثر من آدابهم قصص موضوع أو متخيل ، على الوجه الذى يعنيه أهل الفن بكلمة النصص .

على أن المحدثين من أدباء العرب كانوا يطأون على هذا الضرب من فنون الأدب : اسم الرواية . وإن تكن كلمة (الرواية) بمعناها اللغوي هي أعم مما نعنيه بكلمة (القصص) في الأدب الجديد ، فكل حديث متناقل هو رواية عند أهل اللغة . فنه رواية الشعر ، ورواية الحديث ، ورواية اللغة ، ورواية التاريخ وأخبار السلف . ومن هذا المعنى الأخير جاء إطلاق كلمة (الرواية) على معنى (القصص) مع تخصيص من ناحية ، وتوسع من ناحية أخرى . أما التخصيص ، فمن إطلاقها على هذا الضرب بخصوصه من دون أنواع الرواية ، وأما التعميم ، فمن التوسع في استعمال كلمة (الرواية) حتى تشمل كل متخيل ممكن ، وإن لم تكن له حقيقة في ماضى التاريخ ، بل إن هذا التوسع نفسه جديد في النعير الأدبي . نعماً منذ قريب ، حين اتجه بعض أدباء العربية في دراساتهم إلى الموازنة بين الأدب العربي ، وآداب اللغات الأخرى ، فوضعوا لهذا الفن أول ما وضعوا : اسم الرواية .

قلت : إن وضع كلمة (قصص) أو (رواية) على هذا الفن من فنون الأدب ، كان يوحى به ماضى العربية ، والمأثور من آدابها ، فلم تكن القصة الموضوعة أو المتخيلة معروفة عند العرب ، ولا هي كانت فناً من فنون منشئهم وأدبائهم ، وإنما كانوا يروون من مثل قصة مجنون ليل ، وعنترة ، والزباء ، وجذيمة بن الأبرش ، وسيف بن ذى يزن ، وغيرها ، على أنها حوادث من حوادث التاريخ ، وأخبار السلف ، وما أنكر أنها كانت في أولها كذلك ، أو شيئاً يشبه ذلك ، ثم تداولها الرواة منهم بالزيادة ، والمبالغة ، والتحوير ، وزادوا فيها على الحقيقة ما زادوا ، حتى أقربوا بها قدرأ ما - مما نسميه القصة في الأدب الحديث ، على أن روايتها لم يسبقوها ليرووها من بعدهم من أهل الأدب ، وطلاب التاريخ ، إلا على أنها لون من حكاية ما كان ، فيتصفا القاص منهم ، وهي عنده حقيقة من حقائق التاريخ ، توارثها جيل عن جيل بالرواية ، ومن ثمة جاء إطلاق اسم الرواية عليها ، غير محفوظ فيه معنى من معانى الفن ، ولا منظور فيه إلى أن في إطلاقه توسعاً في المعنى اللغوي ، أو تحديداً لاصطلاح جديد في الأدب .

وما أعنى بهذا الذى أزعج ، أن الخيال العربى ، أو العمل العربى . كان قاصراً عن استنباط القصة ، أو حبك عقدها ، أو التفتن فى خلق حوادثها . وتسلسل أنبائها ؛ فالحقيقة أن العرب فيما خلفوا لنا من تراثهم الأدبى . قد برهنوا أن لهم خيالا بعيد الشأو . وفطرة قصصية بارعة . ولكنهم لم يستخدموا هذا الخيال ، ولم يثمروا تلك المواهب البارعة فى صناعة القصة . فسبقهم غيرهم من أدبا الأمم الأخرى إلى إنشاء هذا الفن . ثم زاد الخلف على ما أسأ السلف . وخلق وابتكر وروع ، حتى صارت القصة عندهم إلى ما صارت إليه . فتأله ضوابط وحدود ، وقواعد مرسومة ... وظلت عندنا على ما تألهه الفطرة . وما توحى به الطبيعة . وما يمل به الخيال ، بلا ضوابط ، ولا قواعد ، ولا حدود . بل ، إن فى الأدب العربى القديم لما تورات بارعة . يمكن أن تكون نويات لقصص مطولة لو وجدت من يحكيها على أسلوب القصة . ويلتزم ضوابطها الفنية . نويات لو تذهبنا لها لوجدنا معينا لا ينضب . كان حربا بأن يمدنا بالمدد بعد المدد . لنشئ فى العربية فناً جديداً من غير أن نقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا فى التاريخ الأدبى ، وبمثل هذا تحيا الآداب العربية وتتجدد . من غير أن نكون مضطرين إلى الاستعارة أو الاستجداء من أدب الغرب ، والجرى فى غمار كتابه وشعراته :

بل إن العرب الأولين قد عرفوا الأسلوب الرمزى فى القصص قبل أن يعرفه أدباء أوروبا ببضعة عشر قرناً . من شاء فليقرأ حديث الإسراء والمعراج . أو قصة الفتية الثلاثة الذين خرجوا للحج فأظلم الليل . فأووا إلى كهف يديون فيه حتى يتنفس الصبح . فتدحرجت صخرة من أعلى الجبل ، فسدت عليهم باب الكهف ، فأخذوا يضرعون إلى الله بذكر ما قدم كل منهم من عمل صالح .. هذان الحديثان وأضرابهما كثير فى الأدب القديم . هما نمط عال فى الأسلوب الرمزى لم يهتد إلى مثله أدباء أوروبا إلا منذ قريب .

لو أنه كان من وكفى أن أتحدث عن القصص فى الأدب العربى لوجت مجال القول ذا سعة ، ولكن ذلك شئ لست أراى فى حاجة للحديث إليك عنه .

وكلكم أقدر عليه. إنما يعني أن أتحدث عن القصص باعتباره فنا من فنون البلاغة، ولولنا من ألوان الأدب، فسأتحدث عنه من هذه الناحية وحسب. وبحسب أن أقول لمن يذكر على العرب أن لهم قدرة على القصة، وخلق الرواية، وشاء المحاور، بحسب أن أقول له لا تصح زعمه: إن العرب قد عرفوا القصة ووجدوا القدرة عليها، وتريات لهم أسبابها، ولكنهم لم يعالجوها، ولم يعنوا بها. وضت القصة عندهم خيالا وطبيعة وفطرة، ولا شيء غير ذلك، على حين كان القصص في آداب الأمم الأخرى صناعة وقواعد مرسومة، وذلك كل شيء. ومعذرة من هذا الاستطراد، ولنعد إلى ما نحن بسبيله.

قلنا إن أدباء العربية إلى عهد قريب، كانوا يطلقون اسم الرواية على معنى القصص، ولكن بين القصة والرواية في اصطلاح أدل الفن لعصرنا هذا فرقا مبين فيما بعد، عند الحديث عن أنواع القصص.



بالتعريف الذي انتهينا إليه في تحديد معنى القصص، تنوار على الذاكرة كل فنونه وأنواعه. من المثل، إلى القصص، إلى الحكاية، إلى القصة، إلى المقامة، إلى الرحلة، إلى الرواية.

ولكل نوع من هذه الأنواع، حد يعرف به ويتميز، وشروط وجودها عند الأدباء، ويوزن بها عند النقاد. وليس يعني في هذا الحديث أن أبين أي هذه الأنواع كان أسبق إلى الظهور من سائرهما، بمقدار ما يعني الحديث عن كل نوع، بما يرسم له صورة توضيحية تعين على تمييزه عما على عداه.

المثل :

للمثل في العربية معنيان : الأول هذه العبارات المتوارثة التي نستعيرها لتبديده حال بحال من مثل قولنا : الصيف ضيعت اللبن . وسبق السيف العذل . ولذات سوار لطمتني . ولنسم هذا النوع : المثل التعبيري ، وهذا لاسبيل لنا إليه . فليس بينه وبين القصة صلة من قريب ولا من بعيد .

الثاني : هو رواية حادثة مختلفة لا حتمية لها في الظاهر ، تورد على السنة الحيوانات والجمادات وغيرها ، مضمنة حكمة أو مغزى ، من مثل ما روى ابن المقفع في كاتبة ودمية . وهذا النوع هو الذى يدخل فى بابنا ، وهو النوع الفطرى الاول من أنواع القصص ولنسمه المثل الحكائى . ويأتى المثل الحكائى على أنواع :

يمكن الحدوث عقلا ، ومستحيل ، ومختلط :

المثل الممكن هو ما نسب فيه الحديث أو الحادثة إلى ذى عقل (مثل) والمستحيل هو ما جاء فيه الحديث على السنة العجائوات ، معزوا إليها النطق أو العمل ، للتعليم ، والإرشاد ، والموعظة ، أو للتهكم والسخرية (مثل) والمختلط ، ما جرت الحادثة أو الحديث فيه بين ذى عقل وأعجم (مثل) والفرق بين المثل الحكائى ، والمثل التعبيرى ، أن الاول يدخل فى نطاق عمل الأديب والمنشىء ، فكل كاتب أن يبتكر من الأمثال الحكائية ما يلزم موضوعه وغايته ، كما يبتنى رواية أو قصة : ولكل مستشهد أن يستشهد . . بلفظه أو معناه ، غير متيد فى روايته بنسق خاص ، أو بعبارة مأثورة .

أما المثل التعبيرى : فهو أثر أدبى متوارث ، بانطه ، ومعناه ، ومضمره ، ولا يمكن التصرف فيه تصرفا لفظيا ولا معنويا ، يعبر عن المذكر والمؤنث ، والواحد والجماعة ، بلفظ واحد ، هو اللفظ الذى ضمنه كتابه ، أو جاء على لسان راويه .

والفرق بين المثل والحكاية : أن له مغزى حكاميا سيق من أجله ، وأنه غير واقعى ، وإن كان بعض أنواعه قد يكون فى حيز الممكنات العقلية . وإذا كان المثل الحكائى هو نموذج أدبى يسهل على كل أديب أن ينشئه أو يتصرف فيه ، كان حتما أن تكون استناعته شروط تضمن جودته :

أ - أن يكون منسجما الأسلوب سهل الدلالة ، يؤدى المقصود منه إلى من سامعه من غير أن يكدر ذهنه .

ب - أن يكون مع انسجام أسلوبه تسيرا موجزا ، لانه فى موضوع من

الكلام - هو وسيلة لا غاية .

٣ - أن يبهج السامع بطلاوته ، وبتمكة فكرته بهزل كلامه ، وابتكار معانيه ، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلطة وفض مشكلا .

٤ - أن يورد بصورة محتملة ، وإن كان هو في ذاته مستحيل الحدوث ، ذلك أن المنزل وإن كان محتقنا لاحتمال له في الظاهر ، فلا بد له من بعض تشابه الحقيقة . ففي الضرب الذي يسب فيه الحديث أو العمل إلى حيوان مثلا ، ينبغي أن نذكر ما يعرف الناس من صفات هذا الحيوان ، وعاداته وغرائزه ، ليكون حديثه أو فعله متطابرا مع ذلك ، وإذا نسب إلى حماد يجب أن نلاحظ عند اختراع المنزل ، الخواص الطبيعية لهذا الحماد ، ليكون حديثه أو فعله كأنه تعبير لعناصر بلسان حالها ، أو السر المضمرة في خواص طبيعتها ، وهكذا .

٥ - ينبغي أن يكون للمثل مغزى واضح يؤدي إلى المعنى الذي يعنيه منشئه من موعظة أو سخرية ، أو دعوة إلى شيء ...

وليس ضروريا أن يتأخر المغزى إلى خاتمة المثل ، وإن يكن ذلك شرطاً رئيساً في سائر أنواع القصص ، فقد يسبق المثل مغزاه قبل حكايته ، ويكثر ذلك في أمثال كلية ودمنة :

... أضرب لك مثلاً للطمع يؤدي بصاحبه إلى الهلاك ؟ وكيف كان ذلك ؟

قال زعموا ...

المقامة :

أما المقامة فهي لون آخر من ألوان النقص ، يعني فيه أول ما يعني ، تحويد العبارة ، وأناقة الأسلوب ، وحشد الكلمات اللغوية ، والعبارات المأثورة ، حشدا يعين المتعلم على تحصيل اللغة ، ويظهر براعة المؤلف ، ومقدرته اللغوية . وأصل المقامة في اللغة : المجلس ، وهي في اصطلاح أهل هذا الفن : رواية طيفة ، حسنة التأليف ، أنيقة التصنيف ، تتضمن نادرة أو نكتة أدبية ، وتنوم على عنصرين : الراوى ، وهو رجل كثير السفر والرحلة ؛ وصاحب الخبر ، وهو رجل أديب فكه ، متشاطر بارع النصرف في الأمور ، متمثل بين البلاد

في طب الرزق ، يأنس له وسائله ! متمكرا في كل زى ، فتعالمى . ويتعارج ، ويتعالم ، ويتجاهل ، ويلبس لكل حال لبوسها ، وتقوم حوادث المئامة على لقاء الراوية وصاحب الخبر ، فيكون بينهما أمر من الامر ، فيرويه راويه ، منسوبا إلى صاحبه .

ففي مقامات الحريري : تقرأ في أول كل مقامة : حدثنا الحارث بن همام قال ... ثم ينسب ما ينسب من الوقائع إلى أديب مقاماته الذى يسميه أبريد السروجى .

وفي مقامات بديع الزمان ، تقرأ المقامة من رواية رجل يسميه عيسى بن هشام ، يحكى عن أبى الفتح الإسكندرى .

ومراتب المقامة أو أجزاءها الفنية ، هى أجزاء القصة نفسها ، كما ستحدث عنها بعد ، وهى العرض ، والنعيد ، والحل ، ويزيد عليها أنها تنحلى في خاتمتها بأبيات هزلية تنسب إلى صاحب الوقائع في المئامة ، الذى أسميناه فيما سلف : صاحب الخبر .

وإذا كان المقصود فى المقامة هو تجويد العبارة وعرض نماذج من الأساليب تعين على التحصيل اللغوى ، كان أهم شروط جودتها ، هو العناية بالأسلوب فى كافة مظاهره : من الكلمة ، إلى العبارة ، إلى المعنى ، بحيث يؤدى مؤداه على وجهه .

وتنسب المقامة فى الغالب إلى مكانها ، أو إلى المروى عنه ، أو إلى بعض وقائعها ، فهناك « المقامة الحلبية » والمقامة الموصلية « وهناك « مقامة القراء » أو « الصوفى » وهناك مقامة « الغازى » أو « الميت » .

الرمز :

أما قسم الرحلات ، فهى أقرب أنواع القصص إلى الفطرة ، وتقوم على رواية ما يشاهده رائد من الرواد ، أو رحلة من الرحالين فى سفر طويل ، وأوضح مثال لها فى الأدب القديم ، رحلة ابن بطوطة ، وهو رجل خرج من

الاده في المغرب ، ايؤدى فراضة الحج . فما زال يخب ويضع ، ويتقافذه البلاد
وتراماه الافتقار . حتى طاف بأكثر المعمور من بلاد الدنيا في زمانه ، ثم
عاد إلى وطنه بعد عمر طويل ، ليقص ما شاهد في رحلته من غرائب الناس ،
والبلاد ، والجواء ، والطبيعة .

وأول ما يشترط لجودة قصص الرحلات:

- ١ - سهولة الأسلوب ، فإن حديث الرحلات من باب القصص الإخباري
- ٢ - التمكن في عرض المآثر : بحيث يستطيع القاص أن ينقل قارئه إلى
حو البلد الذي يتحدث عنه ، فيتابعه خطوة بخطوة ، وكذلك التمكن في تتبع
لحوادث ، بحيث يكون بين الخبر وسابقه مشاكلة ، ما ، ولو مشاكلة عكسية . بحيث
تساعى معنى إلى معنى وحادثة إلى حادثة . ويدخل في شرط التمكن ، التوزيع في
الأسلوب ، مع الإبقاء على سهوانه وفطريته ، بحيث لا تكون عبارته في وصف
البلاد أو الحوادث المختلطة ، متشابهة مكررة ، تبعث السأم ، وتخلط صورة بصورة .
- ٣ - الإيجاز ، حتى لا يمل القارئ بالتطويل بذكر ما لا يعنيه ، فمثلا إذا
كان القطار هو وسيلته في السفر ، فليس حتما أن يقول : قصدت إلى المحطة ،
واشترت تذكرة السفر . واستأجرت حمالا ، ثم دخلت إلى حيث يقف القطار ،
فاتخذت لى مكانا . وهكذا مما يستغنى القارئ عن سماعه ، لأنه يعرفه بطبعه .
إنما يقتصر على قدر الطاقة بذكر غرائب الأمور التي شاهدها ، وإثبات ما جرى
له من الوقائع الخارقة ، ونحو ذلك .
- ٤ - ألا يكتفى بالسماع في تحصيل علمه . إلا أن يكون ذلك منسوبا إلى
قائله ، ليميز القارئ بين مشاهداته ومسموعاته ، فيعرف الأخبار اليقينية
والأخبار المشكوك في صحتها .
- ٥ - ألا يتزيد في حديثه بالمبالغة والتهويل ، لأن ذلك قد يحجب الحقيقة أو
شيئا منها .

وهناك نوع موضوع من قصص الرحلات ، لم يؤثر مثله عن العرب ،
إلا في مثل قصة السند باد البحرى ، إن صحت عريتها في أصل الوضع . وهذا

كثير في الآداب الأوربية الحديثة، ويتصد به إلى أحدا نحيتي العلم، أو التسلية، ويشترط في هذا النوع فوق ما قدمنا من شروط الرحلة : الإمكانية العقلية. وقد قدمنا الحديث عن معنى الإمكانية في حديثنا عن أنواع المثل



هذه الأنواع الثلاثة : المثل والمقامة ، والرحلة . هي لون يتميز بمميزات مختلفة عن سائر أنواع القصص ، وقد تحدثنا عنه بما يجزى ، أما باقي أنواع القصص ، فهو ضرب آخر له خصائص مشتركة . ينبغي أن نتحدث عنها جملة . قبل أن نأخذ في الحديث عن كل نوع بخصوصه .

تسمح لأنفسنا في التعبير قليلا ، فنسمى الأنواع الباقية كلها : قصة ، والواقع أنها كذلك فعلا ، لا يفرق بينها إلا فروق يسيرة : في الشكل ، أو في الكم . فالأقصص والحكاية والقصة والرواية كلها أسماء تشبه أن تكون مترادفة . لولا الفروق الدقيقة التي سندكرها بعد ، ويجمعها كلها تعريف واحد ، هو :

ذكر حادثة وقعت في الحقيقة المحسوسة ، أو في خيال القاص ودنياء الباطنة ، المكونة من عناصر شخصيته ومزاجه ووجدانه ورغباته وأمانيه وآلام نفسه ونظراته إلى الكون . وما ادخر في الواعية الباطنة من عقله من مختلف الحوادث والصور والأحاسيس المتباينة .

يؤدي ذلك كله إلى قارئه في كلام منظوم نظما خاصا على طريقته الشخصية ، مترسما في أدائه ونظمه قواعد الفن القصصى .

هذا التعريف ، يشمل الأقصص ، والحكاية ، والقصة ، والرواية ، كما تخضع هذه الأنواع جميعها لقواعد محدودة ، اصطلاح عليها أهل هذا الفن وتسمى مراتب القصة ، أو عناصرها الفنية :

مراتب القصة :

كل نوع من أنواع القصة السالف ذكرها ، يمكن أن يحتوي على خمسة عناصر : هي :

الدهايز ، والعرض ، والإرصاد ، والتعقيد ، والحل .

ويمكن في بعض القصص ، الاستثناء عن عنصرى : الدهايز . والإرصاد
ولندأ الآن فى التعريف بكل عنصر من هذه العناصر . ولنضرب قبل ذلك
مثالاً نطبق عليه ما تذكر من القواعد :

هذان فتیان ، ربطت بينهما أواصر الصداقة فى صدر أيامهما ، ثم شاءت
الأيام أن يفترقا فى باكر الشباب ، فتصورا صورة تذكارية ، ثم ضربت بينهما
الأيام من ضرباتها ، ومضى كل منهما فى الحياة لوجهه ، ومضت سنوات ، ففرض
أن تكون عشر سنين أو أكثر من ذلك ، لقي كل منهما ما لقي فى أثناءها ،
وملت بهما الحياة من تقلباتها ، فسعد هذا ، وشقى ذاك . وافقر واحد واغتنى
آخر ، واشتدكت مصالح بمصالح ، وتضاربت آمال وآمال ، وجرت الحياة مع
كل منهما على أسلوب ... واحتمت من رأس كل منهما ذكرى الماضى كله بما
كان فيه ، إلا جمرات خاية تحت الرماد فى الواعية الباطنة .

وجاء يوم التقي فيه رجلان لقاء على غير ميعاد ، لا يعلم أحدهما عن ماضى
صاحبه شيئاً ؛ ونبتت بينهما نابتة ، وتضاربت بينهما أمنية وأمنية ، وتعارضت أهواء
وأهواء ، واشتجرت منافع ومنافع ، وتوقع كل منهما أمراً ومال إلى هوى
ومال رأى أحد الرجلين على صورة يملكها الرجل الآخر ، فردته إلى ماضيه ،
وكرته شيئاً غطى عليه النسيان من زمان ، وتعارف الصديقان عرفانا جديداً ،
ربط بين ماضيهما وحاضرهما وعرفا ... وتعانقا عناق اللقاء بعد فراق طويل ،
ونمت بهذا اللقاء عقد الرواية عقدة عقدة وعادت الحياة تجري على سنتها
مع الأحياء .

هذه قصة اجتمعت فيها كل عناصر القصة غير الدهايز . فأنرد كل شئ فيها
إلى معناه لنبلغ ما نريد من المعرفة :

١ - فى أوائل هذه القصة كان فتیان من أمرهما كذا وكذا ، أو من صفاتها
كيت وكيت ، ومن أفعالهما كان وكان ، وهكذا بما يعرف بهما التعريف الذى
يعين القارئ من بعد على تتبع أمرهما .. هذا هو الغرض .

٢ - قضت الأيام على القئين أن يفترقا بعد صلة طويلة فنصورا صورة... هذا هو الإرساد .

٣ - فعلت الأيام بهما وفعلت ، وكان من أمر كل منهما وكان ، وكان ضيق وشدة ، ويأس وأمل ، وخوف ورجاء ، وحوادث وحوادث ... هذا هو التعقيد .

٤ - وظهرت الصورة بينهما في وقت اشتباك الحوادث ، وتنازع المصاح ، وتضارب الأهواء ، واشتجار المني ، واصطراع الأهواء : فكفكمنت الحوادث من غلوائها ، وانحلت العقدة ، هذا هو الحل ..

فالعرض في القصة ، هو التوطئة أو التمهيد بذكر أسماء الرواية ، والتعريف بأشخاصهم وطباعهم ، وبسط الظروف الزمانية والمكانية ، التي بدأ عنها مريض القصة ، والإشارة إلى ما سبقها من عمل يتصل بموضوعها .

أوهو الزكرة العامة المجملية عن مريض القصة ، يتقدم بها الكاتب أول ما يتقدم ، ليهيئ الأذهان للحدث المنظر ، ويشوق النفوس إلى المنة آخر ، ويعرف الظروف والامكنة والأشخاص .

وهذه المرتبة هي أشق مراحل العمل القصصى من حيث الأداء لأنها تتطلب مهارة فنية بالغة ، لتبعد المثل عن القارىء وهى أحوج إلى الكاتب البليغ من كل مراتب القصة . ذلك أنها فى موضعها تشبه المقدمة فهى ليست من الموضوع . وليس للموضوع غنى عنها . لذلك ينبغى الدقة فى معالجتها مع مراعاة أشياء ثلاثة . هى :

الإيجاز ، الوضوح ، السذاجة :

أما الإيجاز فكلا يمل القارىء ، وكلنا قد رأينا حين نقرأ قصة من القصص أن نفوسنا تكون متطلعة فى شوق ، إلى ما وراء هذا التقديم الذى بدأ به القصة ، فهو لا يعيننا لذاته ولا يشوقنا ولا يحمانا على قراءته إلا الحرص على ما بعده ، فإذا طال العرض وأطرب ، استشعرنا الملالة ، وفترت الرغبة ، وكثيرا ما يكون طول العرض والإطباب فيه سببا إلى الانصراف عن قراءة القصة .

وهما تظهر براعة الكاتب ومقدرته اليباية . حين يطرى من الحديث وبنشر ، وبكتم ويورى ، ويورد الخبر غير مرده ، ويستعين فى تعبيره بالايهام ، والاستخدام ، والزورية ، والمجانسة المقلية ، ونحوها .

وأما السذاجة ، فالمتصور بها أن يكون أسلوب العرض طبعيا لا تكلف فيه ولا صناعة ، إلا بمقدار ما يقتضيه الفن ليهقق له أن يوضح الفكرة التى يبنى عليها موضوع القصة إلى حد ما .

انتهينا من العرض ، فلننظر فى العنصر الثانى من عناصر القصة وهو التعقيد أو العقدة : وهو الجزء الذى يجد فيه القاص المجال الفسيح لخياله ، وابتكاره ؛ ويعنى بالتعقيد المرحلة التى تشبك فيها الظروف ، والوقائع ، والمنافع ، والمنازع والأخلاق ؛ فينشأ عن اشتباكها الشك ، والقلق ، وفروغ الصبر ، ونزوع النفس ، وتطلعها إلى طريقة الحل ، وهى تتقل بين الرجاء والخوف ، وتنفل بين الحزن والفرح .

ويبنى فى هذه المرحلة ، ألا تشبك الوقائع والمنافع مرة واحدة ، بل ندرج القاص فى تعقيد الحوادث درجة درجة ، حتى ينتهى به إلى نهاية ما ، ثم يأخذ فى التدرج نارا حتى يباغ به الطريق الذى أعد فيه المفاجأة للحل .

وقد اصطلح أهل الفن على تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث مناطق : السفح أو الحضيض ، والقمة ، والمنحدر .

يشبه فى ذلك من يصعد جبلا ، فيبدأ من السفح صاعداً ، فلا يزال يلقى فى طريقه ما لم يكن يتوقع ، حتى ينتهى إلى القمة وقد استفرغ جهده وآده ماله ، ثم يأخذ طريقه إلى الجانب الثانى من الجبل ، حتى يهبط إلى بطن الوادى .

وإد كان التعقيد فى القصة هو أهم جزء فيها . بل هو القصة كلها بحوادثها ووقائعها ، من ناحيتى الموضوع والكم - كان له شروط لا بد من مراعاتها لجودة القصة .

١ - أن تكون الحوادث بما يتداعى بعضها إلى بعض بلا كلفة ولا تصنع .

٢ - أن يراعى التدرج في سياقها بحيث لا تزال النفوس صابية إلى فنز المشكل مزلة بمعرفة الخاتمة .

٣ - أن يكون للكاتب من العلم بطبائع الناس في ظروف الموضوع ما يهيئه إلى التصوير الذي ينقل القارئ من جر إلى جر ، فيسير في قرين ، وكأنه يعيش بين أبطالها وعلى مقربة من زمانها ومكانها .

٤ - أن يبتعد عن الفضول الذي يباع بين أحزاء الموضوع ويحصر جفرا ت تمنع تسلسل القصة تحت عيني قارئها . وهنا ينبغي أن يعلم القاص الذي يدعو إلى فكرة ما من الإصلاح ، أن المحاورات ليست مرسعا ملائما للدعوة إلى الإصلاح وبيان أوجه الرأي فيه . إنما وظيفة المحاوراة في القصة أنها وسيلة من البيان في أقصر عبارة تصل بين رأي ورأي أو حادثة وحادثة مما يفسر به موضوع القصة . ولن يكون الحوار أبدا وسيلة إلى بث فكرة أو دعوة إلى إصلاح إلا بقدر غير ملحوظ ولا مدرك في جملة . إنما يكون ذلك في الحادثة لا في الحديث ، وفيما يحكى لافيا ينطق به .

ولقد يعرض للكاتب من خواطره وأمان نفسه وممسورات خياله ، ما يصعب عليه في موضع ما من القصة أن يغفله ، من معنى ، أو فكرة ، أو حادثة تلح على نفسه : فهنا ينبغي أن يحذر الكاتب أن يخدعه هواه فيذكر ما لا يقضيه السياق ويستترسل في خواطره ؛ فإن ذلك يوشك أن يفقد القصة وحدة الموضوع ووحدة السياق ، وهما شرطان رئيسان لا تجرد القصة إلا بهما .

ولقد يعتمد بعض القصاص إلى استيفاء الوصف لحادثة ما ، حرصا على الصدق في التصوير ؛ فيرفعه ذلك إلى الإطناب بذكر ما لا يقضيه الفن . ينبغي أن يكون في بال القاص أنه لا عليه في ترك ذلك إذا كان يخل بشرط الاستحسان فإن في كل قصة حوادث سلبية ليس من الضروري أن تذكر ، إذ كان موضوعها يثب إلى ذهن القارئ من غير أن يلفته إليه مؤلف القصة .

٥ - السرعة مع التدرج ، والمقصود بالسرعة هنا : ترك الاستطراد ، وطرح الفضول ، بحيث لا تضر هذه السرعة بالامكانية .

٦ - مراعاة الامكان في حوادث الرواية ، ونعني بالامكانية أن يابس الحواس الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة ، فيقرب ما بينها من الظروف ، ويمهد لها أسباب الوقوع ، حتى لا تتنافر مع العقل ، والعلم ، والعرف ، والتقاليد ؛ ولا تنعد القصة في بعض فصولها وحوادثها عن المؤلف في عصر الرواية وعادات أهم في طبقاتهم الاجتماعية ، إلا أن يكون ذلك مقصوداً لتصوير حالة شاذة في مجتمع غير عادي ، وحينئذ لابد من الايماء إلى هذا القصد ببراعة وتمنن في حواشي الكلام .

على أنه يشترط في الامكانية ألا تؤثر في حالة الشك التي ينبغي أن تلازم الثرى ، في المرحلة التي تسبق مفاجأة الحل ، لأن عقدة القصة إذا لم يكن لها إلا حل واحد يدل عليه المنطق ويتنبأ به القارى ، فقدت القصة مزية التشويق .

٧ - وثمة شرط سابع يتصل بالأسلوب البياني أكثر مما يتصل بالموضوع : ذلك هو الرقة والتفنن في مجرى الكلام ، والقصد إلى النعابير التي تؤثر في القارى ، وتصير له الموضوع تصويراً بيانياً ، يوقظ حسه ، وينبه خياله ، ويجعل للفظه المعبرة في ذهنه معنى تاماً ، ويحول الجملة الصغيرة إلى حادثة ومنظر .

الركن الثالث من أركان القصة ، هو الارصاد .

وهو أن يوميء القاص في بعض حديثه ، في إحدى مرحلتى العرض والتعقيد إلى معنى ، أو حادثة ، أو عادة ، تكون هي تمهيداً لطريق الحل ، بحيث لا تدل عليه دلالة واضحة ولا قاطعة ، وبحيث لا يشعر القارى ، حين يمر به في موضعه أنه منصرف بالذكر لغرض ما ، وإلا استعجل القارى الحل قبل أوانه ، فيفوته بذلك العنصران الرئيسان : التشويق والجاذبية .

وهذا الارصاد في القصة ، يشبه الارصاد البديعى في الشعر العربى ، فقول

عنقرة :

ورمحي كان دلال المنايا نخاض غمارها وشرى وباعا

.. يشبه في تقديم كلمة (دلال) إرصاداً لقوله (شرى وباعا) — يشبه قولنا

في القصة التي ضربناها مثلاً في أول هذا الحديث ، أن الغنيتين تصوران قبل انقراق ،

إرصادا لجعل هذه الصورة هي الحل ، أو بتعبير آخر ، إن هذه الصورة كانت إرصادا لقافية هذه القصة التي هي خاتمها ومنحل عقدها .
ويشترط في الارصاد شرطان :

١ - أن يكون في موضعه بحيث لا يشعر القارىء أنه مقصود لغرض ما .
٢ - أن يكون بارزا بحيث يترك أثره واضحا في فكر القارىء ، فلا يمر به مرور العجلان فينساه قبل أن يأتي وقت الحاجة إليه . فإن كثيرا من القصص تفقد روعتها الفنية بسبب تافه ، هو ألا يحتمل القاص حيلته على أن يكون هذا الارصاد بارز الأثر ، فيفتحهم الفكر والنظر ، حتى إذا آن أو انه ودعت الحاجة إليه عند تدوير الحل ، لم يكن منه في ذاكرة القارىء شيء ، فيسائل نفسه : من كان هذا ؟ وقد لا يظفر بالجواب ، فيعود إلى القصة بقلب صفحاتها ، وتفوته بذلك لذة القراءة وسرور الخاتمة .

وهذا الركن - الارصاد - قد يستغنى عنه في كثير من القصص ، حين يكون أمره مشتهراً بما عرفه الناس وألفوه ، وحينئذ يصح أن يقال : إن الارصاد مضر ، فهو موجود ، ولكن في ذهن القارىء لا بين صفحات القصة .
بقى الحل : وهو الركن الأخير من أركان القصة ، وبه تنحل العقدة ، يزوال الخطر ، أو قضاء الوطر ، أو تذليل العقبة ، أو حلول الكارثة واليأس إحدى الراحتين .

ويشترط فيه (١) أن يكون فجائيا بحيث لا يتنبأ به القارىء قبل أو نه وإلا زال الشك وبزواله يذهب التشويق والجاذبية .

٢ - أن يكون مرتبطا بما قبله ارتباطا وثيقاً طبعياً ، بحيث يقنع به العقل ، ويزول عنده الشك ، وتهدأ معه نوازع النفس .

... فاتنا أن نتحدث عن شيء ذكرناه من مراتب القصة ، وإن لم يكن من لوازمها : ذلك هو الدهليز : وهو تقديم يسبق العرض ، يتحدث عن آخر العام الذي بدأت فيه حوادث القصة وكان له أثر فيها ، ليوطئ للخبر ، وبقرّب مأخذ الرواية .

مال ذلك : قصة يراد بها رواية حادث وقع في مصر ، في أيام الثورة الوطنية ، سنة ١٩١٩ وكان له أثر فيها ولها تأثيره . فهذه القصة ، لا بد لإيضاحها من تدعيم الحديث بقدر ما عن شيء من التاريخ يصنف ما كان في تلك الأيام ، حين بدأت حوادث القصة ، على أن يقتصر القاص في ذلك على ماله صلة بنوع القصة ، بحيث لا تطيب إلا به ، ولا تحسن إلا معه .

وبدئى أن هذا الدهايز ، ليس جزءاً حقيقياً من القصة ، ولكنه ترشيح له ، وفرش للحديث عنها ؛ ومن ثم يستغنى عنه إذا كان سياق القصة يدل عليه ، أو كان جرحاً معروفاً بحيث لا يستدعى تعريفاً به .



هذا العرض الموجز ، يستطيع أن ندرك صورة توضح لنا أجزاء القصة التي حدث ما ، ولو أنني وجدت سعة من وقى ومن وقتكم ، لأوردت لكم بعض شرح الطبقية المختلفة لتتبع هذه الأجزاء والنعرف إليها ، ولكن يغني عن ذلك ينين بأنكم لستم في حاجة منى إلى ذلك ، فكلكم ، ولا أستثنى ، قد قرأ من قصص المختلفة جملة تعينه على ذلك وحده .

على أنى أحسب أن البرامج الجديدة في اللغة العربية لم توص بدراسة القصص لا قصصاً إلى ناحيتين : الأولى أن تضع تحت عين التلميذ ما يمكنه من وسائل نقد ، والنقد إنشاء سلبى يأتي في المرحلة الثانية...

وناحية الأخرى هي أن تهيب للنشء العربى الوسيلة إلى صناعة القصة ، باعتبارها لونا من ألوان الأدب الجديد له خطره ومقداره ؛ بل لا أجدنى غالباً في القول إن زعمت أن القصة سيكون لها في مستقبل الأدب الأسمى عامة ، والأدب العربى خاصة - شأن ، يحمل ماعداه من ألوان الأدب الأخرى ، وطمى على أدب المقالة ، وأغراض الشعر ، وفون الثر وغيرها من وسائل البيان . والقصة هي الحياة البارعة التي تستطيع بها أن تلج إلى كل نفس ، في كل غرض ؛ منك لا يكفينى في الحديث عن القصص هذا القدر ، وحسبى أن يكون ذلك

مقدمة لأحداث أخرى ، وإكورة إبحرث ومحاولات في معالجة القصة ، من ناحية النقد ومن ناحية الانشاء

فإن كان هذا هو ما قصد إليه واضع هذه البرامج ، فإنه يعينني هذا أن أنه إلى أن دراسة قواعد القصص وأنواعه وشروط جودته ، لا تجزى وحدها لتكوين الناقد . أو لتكوين القاص الموفق ، إنما يجزى بذلك حين يسببته مطالعات طريفة متوالية لتماذج من القصص في ألوانه المختلفة ؛ ويته من ورائه فطرة قصصية موهوبة وخيال بارع .

إن القصص عمل وعمر ، متشعب المسالك ، مشبه السبل ، يستلزم وسائل كثيرة لا تأتي إلا بعد جهد ومعاونة ووقت طويل .

وإنني على يقين بأن بحثي هذا - على إيجازه وسذاجته وسهولته - لو ألتسه في غير هذه الجماعة من أهل العلم ، على رجل لم يجعل للقصص بعض الوقت من مطالعته اليومية الرتيبة ، لما أفادته شيئاً أكثر مما يفيد تلميذ لم يقرأ كتاباً راحداً في العربية ثم سمع درسا من دروس البلاغة العربية في الأستاذ ، أو في الأيماز والأطناط .

وأعتذر ثانية من هذا الاستطراد : الذي يدعوني إليه رأي في هذه البرامج الجديدة لا أجد عندي لأصرح به مثل شجاعة الأستاذ عبد الوهاب حمدة في محاضراته عنها في الأسبوع الماضي ... وحسبي أن أسأل سؤالا : هل أعد الذين وضعوا هذا البرنامج عدته له وأرصدوا له وسائله ؟

هل وضعوا بين يدي التلميذ الذي يريدونه على أن يدرس القصص عن أنه فن من فنون البلاغة ولون من ألوان الأدب - طائفة من القصص المختارة في سنى دراسته السابقة ، تعينه في الدراسة التوجيهية على فهم قواعد الفصنر ، وأنواعه ، وشروط جودته ؟

سؤال يعرف جوابه كل مدرس منكم . ويعرف ما وراءه : يعرف أن هذه القواعد الجديدة التي يريدون التلميذ على دراستها سيؤول أمرها في النهاية

إلى أن تكون قواعده للاحفظ والتسميع ، لا وسائل إلى الانشاء الصحيح في الأدب ، أو النقد الصحيح لفنون الأدب .

بعد هذه الوقفة الصغيرة ، أعرد إلى الموضوع الأصيل ، لا نتحدث إليكم عم أحملت الحديث عنه من أنواع القصص : للتمييز بين الأقصوصة ، والحكاية ، والقصّة ، والرواية ، ولكن عقرب الساعة يدور ، والزمن المحدود لي قد أوشك أن ينتهي ، وما يزال في الموضوع عناصر تستدعي الاسهاب ، وتقضى الايضاح والبسط ، فساأجل بقية القول في كلمات .

ليس هناك فرق بين الأقصوصة والقصّة ، من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية الكيف ، ولا من ناحية الشروط الواجب استيفائها في كل منهما ، وكل ما بينهما من فرق ، هو في الحكم والمقدار ، فالأقصوصة صورة مصغرة من القصّة في كل مراحلها الفنية ، ولكنها بموضوعها ، وحادثتها ، عمل صغير تتابع مراحلها الفنية في إيجاز وسرعة ، وإذا كان التعقيد في القصّة مركبا ، فإنه في الأقصوصة بسيط ، يدور حول حادثة بعينها ، وعقدة واحدة تنتظر الحل .

على أن عمل الأديب في الأقصوصة هو أشق وأصعب من عمله في القصّة ، فهي تتركز الحوادث ، وتتوالى الخطوات في سرعة لا تؤثر في الامكانية ، ولا تذهب بالشك ، فهي خفيفة تنفس وتنتهي ، ولكنها مع ذلك خفيفة واحدة تنفعل بها نفس وتتلون بكل الصور الوجدانية الممكنة ، من خوف ، وأمل ، وإشفاق ورغبة ، وشهوة ، وهوى . وهو عمل عسير أن تحتشد كل هذه الحاسيس في حادثة واحدة ثم تنتهي إلى نهايتها بالحل الموفق في قدر صفحتين أو ثلاث من صفحات الكتاب ؛ ولنوضح الفرق بين القصّة والأقصوصة بمثال فطري ساذج :

هذا فتى ورث الغنى والمال عن أبويه ، فأسرف ، وبدد ، وانطلق في شهوراته إلى آخر حدودها ، حتى جاء يوم يوشك أن يطرد فيه من داره التي بيعت ببلاد ، وفي لحظة اليأس الأليم ، جاءه المنفذ في صورة صديق من أصدقاء أبيه كان أسدى إليه يدأ في يوم من الأيام فسدّد دينه ، وأقره في داره ...

هذه الأسطر ، على هذه المسورة ، هي أقصوصة ، فيها العرض ، والارصاد

والتعقيد، والحل . فلوتنا ولها كاتب من الكتاب . وأخذ في تعقيد حوادثها منذ زين لآتى شيطانه أن يسرف ويبدد . . واسترسل في خياله يخلق الحوادث، ويعقد المشاكل، ويطوف بالفتى البلاد، ويزين له الآمانى، ويصطنع في طريقه العقبات، ويجمعه إلى ناس وناس، وإلى رجال ونساء، وزوجه واستولده، وخرج به من مأزق ليضعه في مأزق . . . وسار به كذلك من طريق إلى طريق، ثم انتهى به هذه النهاية نفسها، في موقف اليأس الأليم، صهر اليمين، محطم الآمال، عن يمينه وشماله شهوات وأمانى، وأمامه ووراء أهراء وأغراض؛ وفي هذه اللحظة، لقيه إنسان نبيل الخلق، جم المروءة، مبسوط اليد، واسع المعروف؛ فأخذ يمهده سبيله خطوة خطوة، ويوقره كل يوم بحميل، ويتحنن عليه كل فترة بمعروف، حتى استقامت للفتى حياته، وطالت يده . وطابت نفسه، ولكنه ما يزال في هم ينغص عليه ويوقر ظهره، لأنه لا يجد ما يستطيع به وفاء أيادى هذا المنقذ، ويشعر بمعرفه غلا في عنقه وعبئاً على كتفيه، وتثور به كبرياؤه الموروثة، وتأتى عليه أن يحمل هذا الدين القادح فلا يستطيع وفاءه . وينفعل وجدانه وتضارم أحاسيسه، وتتعد حياتاه تعقيداً جديداً في داخل النفس، حتى تبلغ به مرتبة اليأس في حال عصية شديدة . . حينئذ يعلن إليه منقذه من يكون . .

لو أن كاتباً من الكتاب تناولها بهذا البسط، وعقدها هذا التعقيد المركب لكانت قصة.

أما الحكاية، فهي أخت الأفضوضة ومساويتها في الكم، ولكنها تختلف عنها في الموضوع؛ فإن العنصر المتميز فيها هو الخيال البكر، والاحتراع العجيب؛ ويكون المقصد فيها إلى النسلية والإغراب في التشويق وخلق الحوادث أكثر مما ترمى إلى التصوير أو الموعظة أو التعليم؛ ومن ذلك كان أكثر أبوابها الخرافة . ومنها الأحداث التي تروى العامة .

وتأتى القصة بعد ذلك، ونواتها الأفضوضة كما سبق، وتتميز عنها بكثرة ألوانها، وازدهامها بالحوادث، وتناولها الموضوع من قريب ومن بعيد .

نفس التعميد فيها وتركه ، وإحاطتها بكل ما يتداعى لموضوعها من المتماثل ، وهي تنبع حياة البطل وأعماله جميعاً ، وصاله بالناس ، ومشاكله ، المخلقة ، وعلاقته بكل ما يحدث في يومه ، وهي بذلك تشبه أن تكون تصويراً تاماً له وحركاته العميقة المحسوسة والفكرية المضمرة في طوايا نفسه ، في الفترة التي تجرى فيها حوادث القصة جميعاً ، على خلاف الأفصصة التي لا يعينها من حوادث أبطالها إلا ما يتصل بموضوعها الواحد الذي تعالجه .

ولا تختلف الرواية كثيراً عن القصة ، وكل ما بينهما من الفرق : هو أن القصة توضع لتقرأ أو تحكى ، أما الرواية فتؤلف لتمثل على المسرح أو في الخيالة ولذلك يقوم تأليفها على الحوار .
ولكل من القصة والرواية أنواع ، أدع الحديث عنها إلى فرصة أوسع ، لأن الحديث فيها يطول .

وأكرر الشكر لكم على ما تجشتم من السعي إلينا ، وما ضيتم من الوقت لسماع هذا الحديث ، ولعلني إن رافكم هذا البحث ، أن أعود إلى إتمامه بعد جماع تفصيل ما أجملت من عناصره ، إن أذنتم لي وأوليتموني شرف المحاضرة

محمد سعيد العربي

إعداد المعلم

ضرورة المذكرة التي رفعتها جماعة دار العلوم إلى معالي وزير المعارف
برأيها في إعداد المعلم ، منذ قريب لمازعة خريجي دار العلوم مفهوم
في الاستقلال بوظائف مدرسي اللغة العربية

تسير الشعوب والجماعات على النهج الحديث في توزيع الأعمال العلمية والفنية
على ذوى الكفاية ، الذين أعدوا أنفسهم للقيام بأعبائها ، واكتسبوا الخبرة
بمزاواتها : فللمهندس خطته ، وللطبيب مهنته ، وللقاضى قوانينه وأحكامه ، وللمعلم
طرقه وأساليبه التي تشحذ العقل ، وتقوم الخلق ، وتتمى الجسم ، وتعد الفرد
للحياة .

ولكل ناحية من النواحي ذات الشأن في الحياة العلمية والعملية رجال
اختصوا بها ، ووقفوا حياتهم على النهوض بأعبائها ، ولقد تشعب الاختصاص
حتى شمل الفروع المختلفة في كل علم وفن ، وأصبح لكل فرع منها رجال لهم
إلمام بدقائقه ، وخبرة بحل معضلاته ، وتلك هي سنة الحياة الحديثة : يختص بكل
مهنة رجالها ، ويعتمدى الأعمال ذات الشأن في الأمة من يجيدها .

ولقد سارت مصر على هذا النهج في التعليم وشئونه بخطوات متدرجة .
وعرفت للمعلم الفنى قدره ، وأثره ، فحرصت في نهضتها الحديثة على الاهتمام
بإعداده على أفوم الطرق ، بعد أن كانت مهنة التعليم شائعة ، وميدانها مباح .
يمرح فيه أخلاط تتماوت ثقافتهم ، وتحصيلهم ، ونشأتهم .

حقاً إن مهنة التعليم من بين المهن الفنية — قد صادفها سوء الحظ ، فكادت
مرتفعاً لكل من حدثته نفسه بالتفكير في مورد للارتزاق ، وكان كل من أنس
من نفسه متدرة على القراءة والكتابة ، يستطيع أن يكون من رجال هذا
الميدان أو فرسانه . ولا تزال لهذه الحال بقية في بعض أنحاء البلاد .

وإلى جانب هذا لم يكن من يتصدى للتعليم بحفل بشيء غير النلقين ، ومنح
الأذهان بما يليق ويمليه ، ولم يكن هناك شأن للنشئة الصحيحة للمتعلم : من

الوجوه العقلية والخلقية والجسمية والاجتماعية ، بل كانت الغاية هي الحقائق دراسة وتدريساً .

مضت تلك الفترة من حياتنا التعليمية على طولها ، ثم اتجهت الهمة إلى المرض بالمعلم وإعداده إعداداً يسير ما لتعليم الصحيح من مكانة في رقي مصر ، وخير أبنائها .

وقد سار ذوو الشأن ورجال التعليم في هذا السبيل ، ورائدهم تلك الحقيقة البتة ، وهي أن إعداد المعلم الصالح له أثره في إعداد الجيل الصالح وقوته في لبهاض البلاد في شتى النواحي ، وله في رخاء الشعب وتقدمه وحسن همته وترقية حياته ، شأن عظيم .

ولاتزال البلاد تتابع خطوات الإصلاح في إعداد المعلم ، وترقب أن تصل في هذا الصدد إلى أقدم الطرق المرسسة على النواعد السليمة ، التي تهدينا إليها تجاربنا في الماضي ، وتجارب المربين في أنحاء العالم الحديث .

وسنجمل القول في هذا الموضوع ، ووجهتنا أن ندلي بما نرجو أن يوصل إلى الخير والإصلاح .

يقوم إعداد المعلم على الدعائم الآتية :

- (١) ثقافته العامة الشاملة .
- (٢) استعداده في مادته .
- (٣) استعداده في طريقته .
- (٤) استعداده في شخصيته .
- (٥) إعداد البيئة التعليمية الصالحة لنشأته .

(١) ثقافته العامة :

والمعلم كغيره من طوائف المنطقين يجب أن يلم بقدر صالح من المعلومات

العامّة الشاملة ، تمكنه من فهم الحياة فهما بشخص عقله ، ويوفّظ مواهبه ، ويوجه همته ترجيحاً صالحاً ، ويجعل الصلة وثيقة بينه وبين طوائف المتعلمين ، ويمكنه من فهم ما يحيط به ، وما يمر من شؤون المجتمع الذي يعيش فيه .

ولسنا في حاجة إلى تفصيل ما يجب دراسته في هذه المرحلة ، فقد تكفل رجال التعليم بالبحث فيها بحال لا يزال قابلاً للتعديل ، على حسب ما تهدي إليه التجارب ، وللتجارب شأنها في جميع مرافق الحياة .

وتحى بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى لها وجهتان : وجهة تكميلية ، ووجهة إعدادية . أما التكميل فسيبيله أن يستزيد الطالب من المادة أو المواد التي أعد نفسه لدراستها ، ويمرن على أساليب البحث والاستفادة .

وأما الإعداد فذلك بأن ننحز به ناحية التعليم ، وما يجب أن يتوافر في المعلم من صفات ، فنسمى فيه حب النظام ؛ ونخبّر مافيه من ميول ؛ لنستوثق من استعداداته لمهنة التعليم .

(٢) استعداده في مادته :

ولكل فرع من فروع التعليم مواد خاصة يجب أن يلم المعلم بها ، ووسائل للتعلم فيها والاستزادة منها . فلا آداب طريقها ، وللعلوم منهجها ، وللرياضة مثل ذلك ، وللغات وسائلها ، ولكل ناحية من النواحي وسائل للدرس والتحصيل . فلنترك هذا لرجال المختصين به .

ولكننا نريد أن نشير إلى حقيقة لا بد منها في إعداد المعلم في مادته ، وهي أن نهتم إلى جانب تزويده بالمادة تزويداً شاملاً وعميقاً ، بأن نفرس فيه حب البحث ، والرغبة في التحصيل ، والقدرة على استنباط الحقائق الصحيحة من مصادرها ، وعلى تنظيمها تنظيمياً يوافق عقول المتعلمين في مراحل حياتهم ، وعلى تتبع ما يجد في ميدان العلم والفن والارتفاع به .

(٣) استعداده في طريقته :

وللطريقة أصول ترتكز عليها ، ووسائل تهض بها ، وهي في جملتها ترحح

إلى شعبتين : أولاهما الدراسة العلمية للتربية وأصولها ، والثانية التمرين العملي .
 أما التربية وأصولها فقد سارت معاهد التعليم المصرية فيها سيرا متدرجا ،
 وفقا لسنة النهوض ، واتسع ميدان البحث ، وتشعبت فروع التربية ، وتاريخها ،
 وعلم النفس ، وشملت التجارب العملية ، وأدخل كل ذلك في مناهج إعداد
 المعلم ، وأصبح لزاما أن يلم المعلم بعلم النفس العام ، ودراسة الطفل ، والتربية
 النظرية ، والتجريبية ، وتاريخ التربية ، وتدرج مذاهبها ، والتربية المقارنة ، وأصول
 التنظيم المدرسي ، وعوامل الحياة الصحيحة في المدارس . وغير ذلك مما ينهض بالمعلم
 وبأساليبه ، ويضع للتعليم الصحيح دعائم قوية متينة .
 وأما التمرين العملي فقد أصبح لا بد منه لكل مهنة ، وهو المهنة التعليم الركن
 المثلين .

(٤) استعداده في شخصيته :

ومرجع ذلك ناحيتان : ناحية فنية ، وناحية خلقية .
 (أ) فأما الناحية الفنية فأساسها القدرة على الإبانة في دقة ووضوح وجودة
 إلقاء وحسن تصوير ، والاستعداد لمسيرة عقول المتعلمين ، والتدرج في عرض
 الحقائق في هوادة وجودة حوار .
 (ب) وأما الناحية الخلقية فأساسها : حب الحق ، وحب الخير ، وسلامة
 الذوق ، وأن يكون الميل إلى الحق وإلى الخير ثابتا في قرارة النفس .
 وإلى جانب هذا هدوء الطبع ، والبعد عن الغلظة ، والترفع عن دنى الأمور
 وسفسافها ، والاعتزاز باحترام النفس .
 وليست هذه الصفات مما يسهل توافرها في كل إنسان ، فمن الناس من حيل
 بينهم وبينها ، أو بين بعضها بفطرتهم أو نشأتهم .

فعلى القائمين بشؤون التعليم إذا أرادوا الخير للوطن وأبنائه أن يولوا إعداد
 المعلم عنايتهم من هذه النواحي التي أجمعناها .
 وقد يكون من اليسير أن نصل إلى ما نشد من حيث إعداد المعلم : في مادته

العلمية ، وفيما يدرس من القواعد النظرية والعملية للتربية وفروعها . فالمادة
أساندها الذين ألما بدقائقها ، وللتربية وفنونها رجال لهم من دراستهم وواسع
تجربتهم ما يمكنهم من وضع الأسس الصالحة لدراسة ما يجب أن يلم به المعلم .
والأمل عظيم في أن يثمر سعيهم ، وأن يكون لآرائهم وما يقترحون شأن
يجعل التربية ودراساتها محل عناية في البلاد .

نقول إن الأمل عظيم في هذا وفي إحلال علوم التربية محل اللائق : ليكون
للنظام محور الصحيح ، فقد جرت الأمور في فترة مضت من حياتنا التعليمية
على نهج لم يكن فيه للتربية ورجالها الحظ الوافر من الرأي ، وذلك لعقيدة درجت
عليها البلاد ، وهي أن كل من تعلم يستطيع أن يعلم ، وأن أصول التربية وما
يتصل بها من تجارب ليست إلا بدعة لا تتطلب التشجيع . ولكن هذه الفترة قد
انقضت إلا في قليل من آثارها ، وأصبح من الثابت أن هذه المادة تتطلب في
دراساتها عمقاً شاملاً من الوجوه النظرية والتجريبية ، وأن نجاح التعلم يرتبط
إلى حد كبير بالعناية بها .

فلذا أن نظمنا إذن إلى مادة المعلم ، وإلى طريقته العلمية .
ولكن إعداد المعلم ليس مادة وطريقة فحسب ، فهناك عامل آخر له في
إعداده شأن يجدر بنا أن نحله محله من الرعاية ، فهو أساس إعداد المعلم الصالح
وذلك هو :

(٥) أعداد الهيئة التعليمية الصالحة لتسأله :

ولهذا العامل عامتان : إحداهما تتصل بالإعداد السابق للمعلم ، والباية
ما يجب أن يتوافر في المعهد الذي يعده لمهنة التعليم .

(١) إعداده السابق في ثقافته العامة :

وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدم إشارة مجملة . والذي نريد أن نتعرض له هنا
هو حقيقة لها في إعداد المعلم أثر ، وهي أن من الثابت أن المتعلم يطبع بالطابع الذي
يراه من معلمه ، ويتشبع بما يحيط به من نظام في المعهد الذي ينشأ فيه .
وإلى المعلم أكثر طبقات المتعلمين حاجة إلى النظام ، وإلى الجو المدرسي

الذى يقوم به احترام القانون، ويسوده الإذعان لما تنص المدارس من نظم وإجراءات. وما ترسم من قواعد وتسايد يسير عليها الجيل الناشئ، وإذا كان المدارس النموذجية الحديثة مكان في نظامنا التعليمي، فهي في إعداد المعلم ذات أثر نافع، تجنى منه الأئمة خير الثمار.

وللوصول إلى غاية محدودة في هذا الإعداد الثقافي للمعلم: ينشأ قسم إعدادى يلحق بمعهد إعداد المعلم، يقضى فيه الطالب سنتين بعد مرحلة الثقافة العامة، يخبر في أثناءهما استعداداه لمهنة التعليم، وتشجذ مراهبه، ويزود بمقدار صالح من المواد التى سيعهد إليه تدريسها فيما بعد.

(ب) المعهد الذى يستعد فيه الطالب لمهنة التدريس:

ومعاهد إعداد المعلمين يجب أن تكون بيئة صالحة، تنجلي فيها عوامل الحياة السعيدة، ووسائل النشاط الاجتماعى، ويسودها روح أدب يحفز إلى جليل الأعمال، ويطلع الطالب على خير الشيم، وينهض بما فيه من استعداد، وينمى دور الشخصية القوية، ويشجع على حب البحث، والاستزادة من الاطلاع والتحصيل.

وتحقيق هذا يتطلب أن يكون معهد إعداد المعلم له من النقايد العلمية والاجتماعية والتهديبية ما يكفل الثقافة الشاملة؛ فيكون فيه إلى جانب المحاضرات العلمية والبحث العلمى، نشاط اجتماعى، قوامه: محاضرات في شؤون شتى، يقوم بها معلمو المعهد وغيرهم، ويشارك فيها الطلاب كذلك، وجماعات للمناظرات، وحطابة، والتمثيل، والرحلات، والرياضة البدنية، وغير ذلك مما أصبح من عوامل النشاط في المعاهد العلمية، وله في تكوين الفرد والسمو بخلقه واستعداده العام، الأثر الأول.

ولسنا في حاجة إلى دليل على ما لهذا النشاط من أثر في الحياة التعليمية، فقد افقت على فائدة كلمة المربين، وسارت عليه المدارس والمعاهد في أنحاء العالم، واقتنعت مصر بهائدته، فجعلت له مكانا في مدارسها المختلفة.

وهذا النشاط لا يقل شأنًا في إعداد المعلم وتكوين شخصيته عن البراعة في

المادة، والتعمق في دراستها؛ فإن النصور في الاستعداد الخلقى، والتقصير في غرس كريم الخلال، وحب النظام، والإخلاص لمهنة التعليم، والتهاون في تقييم شخصية المعلم وإعداده الاجتماعى والحيوى، هو إضعاف للتعليم، وهبوط بمستوى الأجيال القادمة.

إن المعلم الصالح هو الذى يفهم معنى الحياة، ويستطيع أن ينشئ أبناء الأمة تنشئة صالحة، تمكنهم من فهمها، ويهتم بتقدير ما يجرى حوله، ويعمل الخير أبناء البلاد.

ومن هذا يتضح أن إعداد المعلم يجب أن يكون محوطاً بالادنية وحسن الاختيار، وبوضع الأسس الصالحة للمعهد الذى يعده، فالمعلم ليس هو الذى يلتهم مادته ثم يصبها فى العقول، وليس هو كتلة علمية تنطير ذراتها وثور غبارها، وإنما هو شخصية تشع الخلق القويم، وتفيض قوة وإخلاصاً، وحباً للإصلاح والكمال.

أن إعداد المعلم يتطلب معاهد منظمة، وحياة منظمة، ولا تكفى فى إعداد المسابقات العلمية، ولا التماس فى الاستظهار، ولا فتح الباب لكل طرق، بل إن إعداده يتطلب أن نسير على أحكم الطرق وأفومها فى تكوين خلقه، ومادته وطريقته.

وليس من الغرم أن تنفق الدولة فى هذا السبيل بعض ما تنفق فى المرافق الأخرى للبلاد.

وفضل المعاهد المنظمة الصالحة لإعداد المعلم لا يعم الطلاب وحدهم، بل إن رسوخ التقاليد العلمية والاجتماعية لهذه المعاهد، وما لها من ماضٍ محدوم، والمستخرجين فيها من شأن ومكانة وأثر صالح. كل هذا يجعل المعهد بيئة ينفع منها الإرشاد والإيحاء الحائز للهمم، وقبلة تهوى إليها الأفئدة، وتستضيء النفوس بهديها. وهذه هى المعاني الكامنة فى المعاهد العظيمة ذات التقاليد العربية فى ممالك أوربا، وهى التى جدت لها الأثر القوى من الوجوه العلمية والخلقية والاجتماعية.

إن إعداد المعلم يتطلب أكثر مما تتطلب الفروع العلمية الأخرى، والمهمة المحقة، التي تهتم الدولة بإعداد رجالها، فالمعلم ليس كتلة من الحقائق العلمية، فهذه الحقائق مسطرة ميسورة، وليس عمله مقصوراً على تكوين المتعلمين من الوجهة العلمية فحسب، بل إن المعلم ذو القدوة الصالحة في خلقه، وسلوكه، وعاداته، ونظامه العكري، وأسلوبه في الخطاب وفي الحوار، وفي الغايات السامية التي تطمح إليها الأمم في نهضاتها، وقد أصبح من شعائر التربية الحديثة أن المعلم والبيئة التعليمية لها في هذا الاتجاه شأن كبير.

ولقد أخذت مصر أخيراً بهذه الأسباب في مدارسها المختلفة، فعينت بإسقاط المدرسي على اختلاف أنواعه ومظاهره وغاياته، وازداد رجال التعليم يمسك بماله من فائدة، وحثوا على الاهتمام به، وأخذت البلاد تعدل عن الفكرة القديمة، وهي أن المدارس أما كن الحشد الحقائق في الأذهان، وعمل ذرو السب، أو شرعوا يعملون على أن تحل محلها الفكرة الحديثة في التربية، وهي أن المدارس بيئات للحياة تعد للحياة.

وإذا كان هذا النشاط الخلق والاحتماعي والحيوي لازماً للمدارس الحديثة فمن الواضح أن يكون إعداد المعلم على غرار من النظم التي لا شك في ضرورة الأخذ بها.

إن تنشئة الشعوب على النظام الذي يرسمه المصلحون مرتبط بعوامل أهمها المدارس، فالدولة تستطيع أن تنفذ إلى مواطن الإصلاح عن طريق المدرسة، وأن تحجزها سبيلاً لطبع الشعب بالطابع الذي تريد، وتوجهه الوجهة التي تنميها، وترسم له من الطرق ما تراه كفيلاً بريقه وصلاحه.

وليس السر في مكانة المدارس وأثرها في الدولة من هذه النواحي راجعاً إلى ما بها من مناهج، أو ما تتضمن هذه المناهج من حقائق، بل إن السر هو أنها حياة مصغرة، تعد للحياة الواسعة الزاخرة بالمشاكل، وأن المسيطر على المدرسة وحوار الروح الساميم فيها إنما هو المعلم، بما فيه من صفات قوية، وخلق رصين. فلعمد المعلم من وجهة الحياة الصحيحة إلى جانب إعدادة في مادته، وطريقته

بل فوق إعداده فيهما ، وقبل إعداده فيهما

من هذا يظهر أن إعداد المعلم يجب أن يكون في بيئة تتخلل فيه أصول الحياة الصحيحة ، ويسوده النظام الشامل ، ويسطع منها ضوء الخلق الكريم ، والقذوة الصالحة بإشراف هيئة من خيرة المعلمين ، وذلك في جميع مراحل نماء الدامة ، وثقافته الخاصة ، ومرحلة استعداده لمهنة التعليم . وإنه لإداساغ لنا أن نلمس الطوائف الأخرى من المعلمين أو الموظفين ممن تعلوا في منازلهم ، أو علوا أنفسهم ، أو ممن تلقوا في مدارس ليالية ، أو ممن اهتموا بالمادة البنية وحدها ، فليس من الخير للشعب أن نلمس من يقوم بإعداد أبنائه من شأ على هذا النظام ، بل لابد من أن تقصر إعداد المعلم على المدارس والمعاهد التي تتوافر فيها شروط التربية الصحيحة ، والحياة الصحيحة .

إعداد معلم اللغة العربية

وصلنا فيما تقدم إلى قواعد عامة في إعداد المعلم ، وهي إعداده : في مبادئه وفي طريقته ، وفي حياته الحلقية والاجتماعية ، وإعداد المدارس التي يتلقى فيها ثقافته ، والمعهد الذي يتم فيه مهنته .

وهذه القواعد يجب أن تتوافر في إعداد معلم اللغة العربية ، وسنتناول هذا بشيء من الشرح :

(١) المادة :

إن الاستعداد في اللغة العربية لمن يتصدى لتدريسها يتطلب الإلمام بمواد أخرى ، ترتبط بها تمام الارتباط ، أهمها : الشريعة الإسلامية ، والقرآن الكريم وتفسيره ، وفهم نواحيه المختلفة ، من الوجهتين الشرعية والبيانية ، ثم تاريخ الإسلام خاصة ، وتاريخ العرب عامة ، وللعلوم العربية فروع : هي الأدب في جميع أدواره ، وقواعد النحر والصرف ، والبلاغة ، والعروض ، وفقه اللغة ،

وكل هذا يجب أن يدرس دراسة شاملة عميقة على الأساليب الحديثة في الدرس والتحصيل ، مع الاهتمام بفهم أساليب المتقدمين في مؤلفاتهم ، والبحث في كل هذا بحثاً أساسه التمهيد الجارى على النهج العلمى الحديث . وإلى جانب ما تقدم تدرس التربية بفروعها ، النظرية والعملية ، وعلم النفس والفلسفة . وما يتصل بكل هذا ، مما أصبح من الحتم على المدرس الإلمام به ، وقد أشرنا إليه من قبل .

وفوق هذا تدرس اللغة الأجنبية الحديثة بقدر يمكن المتعلم من الانتفاع بها في الاطلاع والبحث ، والموازنة بين الأدب العربى وصور من الأدب الغربى تحفز ميله العلمى ، وتشجذ قدرته على الاقتنان ، وتنبع ما يجد فى ميدان العلم والتعليم .

ولسنا الآن بصدد التفصيل فى المناهج التى توضع فى المواد التى أشرنا إليها . فليس هذا بالأمر العسير .

(٢) الطريقة :

وطريقة تدريس اللغة العربية تتطلب إلى جانب الإلمام بالقواعد العامة للتربية وعلم النفس تطبيق هذه القواعد على تدريس اللغة العربية ، ورسم خطط تنشى مع طبيعة اللغة وآدابها وقواعدها ، وطرق البراعة فيها . وهذا يستدعى تجارب يقوم بها من أَلَمُوا بالتربية وباللغة العربية معا ، إلماما دقيقا واسعا .

ويمكن هؤلاء الأساتذة صلة بالمدارس التى يقوم المعلمون بالتدريس فيها . وللمفسين الذين يزورونها ، حتى تجرى التجارب بخطوات ثابتة ، يمحسها الزمن . ونشأت دعائنها . وهذه الصلة من أنجع ما بوصل إلى أتمل الطرق وأقومها . ولا ننسى أن البراعة فى الطريقة تستلزم استعدادا شخصيا ومرانة :

أما الاستعداد الشخصى فقد تكون عناصره غير متوافرة فى بعض من يحسن . أنفسهم فى ميدان التعليم ، ويفرضون أنفسهم عليه فرضا ، وهم يجهلون أن هذه المهنة لا توافقهم . وهؤلاء يجب إرشادهم فى أول الطريق قبل أن يقطعوا

المراحل التي تلوى عنايتهم عن مهنة أخرى تكون أمثل بهم .
ومعنى هذا أن يكون للمشرفين على إعداد المعلم وسيلة يتعرفون بها استعداد
من يصلح لمهنة التعليم ، فيقرون استمراره ، أو صرفه إلى عمل آخر .
وأما التمرين فينبغي أن يكون واسع المدى ، وافر الزمن ، كفيلا بإطمئنان
المدرس إلى سيره في التدريس على أقوم الطرق .

(٣) وإما إعداد معلم اللغة العربية من الوجهة الاجتماعية والثقافية . فهذا
يستدعى أن يكون معهد إعداده سائراً على أحدث النظم ، وأن تتغلغل فيه
مقومات الحياة الصحيحة ، وتنظم فيه جماعات للطلاب في شتى النواحي : للمحاضرات
والمناظرات والتمثيل والرحلات في مصر وغيرها من البلدان ، والرياضة البدنية
وإنشاء مجلة تكون محورا للنشاط العقلي والاجتماعي ، إلى غير ذلك من اجتماعات
التي أصبح أمرها معلوما في جميع المعاهد الحديثة ، وأصبحت من أقوى العوامل
في إعداد المعلم ، والنهوض بمستواه الحيوي .

(٤) المعاهد التي يستعد فيها

وهي قسمان : قسم إعدادي ، وقسم لتخريج المعلم .

(١) القسم الإعدادي .

إن إعداد معلم اللغة العربية يختلف عن إعداد معلم المواد الأخرى . فإنه
يتطلب الإلمام المبكر بقدر صالح من العلوم الشرعية والقرآن الكريم حفظ
وتفسيراً ، إلى جانب الاستزادة من اللغة العربية ، وكل هذا غير موفور في مرحلة
الثقافة العامة ؛ لهذا كان من اللازم إنشاء قسم إعدادي خاص ؛ لمن يستعدون لتدريس
اللغة العربية ، يتلقى فيه الطالب ثقافته الشاملة بدراسة المواد التي تتطلبها .

ب — المعهد الذي يخرج المعلم :

وفيه تدرس المواد التي أشرنا إليها من قبل ، وهي : اللغة العربية ، والعلوم
الشرعية ، والتربية العلمية ، والعملية ، والتاريخ الإسلامي ، والفلسفة ، والمنطق
واللغة الأجنبية ، وغير ذلك .

وموق هذه الثقافة العامة في القسم الإعدادى ، والدراسة في القسم الذى يخرج
المدرس ، لابد أن تترافر في هذين القسمين عوامل النشاط والحياة الصحيحة
العلمية والاجتماعية التى نوهنا بها

ولا بد من صلة معهد المعلمين ورجاله بالمدارس التى يقوم المنخرجون
بالتدريس فيها ، وبالمفتشين الذين يزورونهم ، مع تبادل الملاحظات ، ووجوه
الإرساد بن هؤلاء جميعا ، تبادلا يثبت التقاليد الصالحة ، ويضع خير الدعائم
لإنهاض البلاد ، وأخذها بكل مستحدث صالح .

وعد فإن يقيننا عظيم فى أن يكون لمصر ، ولولاة الأمور ، ولرجال التعليم ،
حظوة جمة فى تخير معلم اللغة العربية ، والنهج لذلك واضح ، فقد وضعت البلاد
مساراً بعيد فى فجر نهضتها أساساً لإعداد معلم اللغة العربية ، وارتضت معهداً
هو دار العلوم التى لها فى اللغة العربية وارتقاؤها ونظام تدريسها أثر عظيم
لا يحصى منصف ، وقد رعتها بعنايتها ، وقطعت فى النهوض بها مراحل واسعة ،
وسارت فى دعمها ، وتثبيت تقاليدها ، والاحتفاظ بمكانتها ، سيرا حثيثاً .

ومن الإنصاف للتعليم ولجهود البلاد أن يكون هذا المعهد محل رعاية
وعناية من المصالحين ، وأن يكون هو المعهد الذى يعتمد عليه فى تخريج معلمى
اللغة العربية

الشعر القصصى

أو

شعر الملاحم

للمؤلف عبد الرازق حميدة

نص المحاضرة التي ألقاها الأستاذ عبد الرازق حميدة ، خريج دارالعلوم
وعضو اللجنة القومية ، بنادى دارالعلوم

سيدى الرئيس أساتذتى وإخوانى الكرام :

إن حديثى اليكم الليلة دأثر حول « الشعر القصصى » ، أو شعر الملاحم كما سماه بعض علماء المغرب من قبل . وهو موضوع حاولت أن أجده حوله كلاما شافيا فى اللغة العربية وكتب الأدب فأعياى البحث ، ولعل سبب ذلك استطاع الصلة بينى وبين التعمق فى دراسة الأدب العربى مدة سبعة أعوام ، أما السبب الذى أعتقد أنه حتما فهو قلة ما كتب فى العربية من أبحاث إن كان هاك ما يسمى بـ « حول - حول » الشعر القصصى » - حول الملاحم . وليس ذلك تقصيرا من ناقدى العرب ، فهو لاء لم يجدوا مادة يتحدثون عنها مترجمة أو موضوعة وخير من ظفرت به فى هذا الباب هو « سليمان البستاني » فى مقدمته لرحمة إلياذة هومر . هداى بحثه إلى كثير من المراجع الأجنبية ، فوليت بحوى شطرها ونهلت منها حتى رويت ، وأرجو أن أوفق فى أن أعرض عليه شيئا فيه فائدة ، وفيه جزاء موفر لثكرمكم بتلبية الدعوة لسماع حديثى هذه الليلة عرفنا هذا النوع من أقسام الشعر عن الناقدين الغربيين الذين يسمون الشعر أقساما ثلاثة :

أولها الشعر القصصى - أو شعر الملاحم - والملمحة أو القصصية القصصية . لا بد فيها من حادثة من حوادث البطولة تكون موضوعا للقصة ولا يتحتم أن تكون هذه الحادثة أسطورية أو من نسج الخيال ، بل يمكن أن تكون من حقائق التاريخ أو خرافات الأمم أو قصص الأديان . يحدث

الشاعر لسان أبصاليها ، يقصر القصص ، ويسرد الوقائع ويحرف القول ، وصف عيشة الأبطال ، ويذكر ما أحاط بهم من جرو وطبيعة ، وما ساد عصرهم من علم أو فن ، وما سيطر على أزمهم من عقائد أو أساطير .

وثانيها الشعر الغنائى — وهو ما يعبرون عن منظوماته بالأنشيد أو الأغانى ويسندون به الشعر الذى يعبر عن الدواطف الشخصية ، من حب وفخر ومن غل ونسيب ، ويدخلون فيه شعر الحماسة والثناء ، والمدح والهجاء .

وثالثها : الشعر التمثيلى — أو المسرحيات الشعرية « الدراما » يتحدث فيها الأبطال أنفسهم حوارا أو جدلا ، وخبرا أو إنشأ ، أمرا أو نهيًا ، وعذرا أو نذرا . كما يتحدث الناس بعضهم إلى بعض بشئى أنواع الحديث فى الحياة الواقعية المحسوسة

وفيه تبدو الفكرة المراد إرازها ، أو المغزى الذى يرمى إليه الكاتب . نمة على المسرح أمام جمهور المشاهدين ، وتبتدع من أجل ذلك الحوادث ابتداعا ، وتسو تنسيقا يساعد التمثيل على تحسين فضيلة أو تقييح رذيلة : فيكون وقعها نمة أثبت فى الذهن ، وأبلغ فى النفس ، وأعمق فى الأثر .

ولا حد بين هذه الأنقسام الثلاثة يفصلها فصلا تاما ، أو يحرم على نوع أن وجد فى ثابا نوع آخر : بل كثيرا ما يكون تمشيها معا ، واثلافا جميعها أو بعضها من مقتضيات الانشاء أو ضرورات التأليف . ففى الإياذه هو مر شعر غنى من أبدع ما يقع عليه القارى فى بابها ، وفيها من الشعر التمثيلى ما يعجز كـ شعراء المسرح أن يأتوا بمثله . وفى مسرحيات شكسبير — وشهرته أنه أعظم شاعر مسرحى فى القديم والحديث — مثل « هملت » كثير من نوع الملاحم يملا النفس بمقدرته دهشة وإعجابا . أما قدرته على الشعر الغنائى الموسيقى جميل فهمى مضرب الأمثال عند أبناء جسنه ومن يفهمون لغته . ويتذوقون أدبه وجماله .

هذا الترتيب الذى ذكرناه هنا لأنواع الشعر عند الافرنج — القصص ثم الغنائى — ثم التمثيلى — هو الترتيب التاريخى لوجودها كما وصلت إلينا ، أما الترتيب

الطبيعى فيقضى أن يكون الشعر الغنائى أو أنواع منه سابقة على الشعر القصصى : فالأناشيد الدينية التى تقال تضرعا أو زلفى إلى الالهة ، أو تحذثا بنعمة ، أو شكرا على معروف لمن ييدهم ملكوت السموات والارض فى رأى الأقدمين : وقصائد الفخر بالنصر يملئها الشعور الوطنى . والرغبة فى تسجيل المجد القومى . لابد من أن تكون سابقة للنوع القصصى المركب من الثام هذه وغيرها وترتيبها ترتيبا فصصيا ، وخلق وحدة لها ومحور تدور حوله فى خلال القصة .

والذى يعنينا الآن إنما هو الشعر القصصى . وإن الاختلاف فى تعريف الشعر عند العرب والفرنجية ، وهل يقصد منه المرزون المقفى ، أم تتجاوز عن الوزن وعن النقية ، يجعل ميدان الحديث متأثرا تأثرا كبيرا بالمعنيين . ودا قصدا الأول ، وحننا الوزن فى الشعر كان المجال أضيق بلاشك . أما التجاوز عن الوزن فإنه يجعلنا فى حل من أن ندخل المقامات ورسالة الغفران فى دائرة الشعر القصصى ، والذى عليه أغلب كتاب الأدب أن الملاحم منظومة .

وهناك اختلاف كذلك فى المقصود من شعر الملاحم ، فمنهم من جعله مقصورا على المنظومات الخيالية القصصية التى تدور حول حوادث عظيمة ، ويكون أبطالها من الآلهة أو من أنصاف الآلهة أو أفضاذ البشر ، أو من البشر خاصة ، ومنهم من أراد به القصص الخيالية أو التى لها سند من التاريخ ما دمت فى قالب شعرى ، يكون موضوعها أى نوع من أنواع البطولة يأتى فيها النطل بالعظام ، ويفعل ما لا يستطيع العامة من الناس فعله ، ويعيهم إحداثه . كما فى الملاحم التاريخية أمثال الشاهنامة ، وأرجوزة ابن عبد ربه فى تاريخ « الباص » . وهى فى الجزء الثانى من العقد الفريد .

الايادة : The Iliad : أما النوع الأول فمثله « الايادة » ، وهى تسم ما عرف من شعر الملاحم ، تنسب إلى « هومر » ، وهى شخصية مختلف الناس فيها فقال أناس بوجودها ، وأنكرها آخرون مدعين أنها مؤلفة من شخصيات يونانية كثيرة العدد كتبت القصة فى أزمان متعددة ، وأجيال متعاقبة ، ثم حفظت هذه المقطوعات ورواها المنشدون والرواة مجتمعة ، وعنى بحفظها المتكسبون

بحرعة ، وسواء أكان هذا أركا فلا شك فى أن للقصة وحدة ، وأنهما متماصتان
الاجزاء متناسقة الانشيد .

هذا الاسم نسبة إلى إليون (ILION) فى آسيا الصغرى ، والى عرفها نحن
بسم طروادة . وقعت بينها الحرب وبين اليونان ودامت عشر سنوات . أوقد
أر هذه الحرب باريس « Paris » بن فريام « Priam » ملك طروادة عندما
زار اسبرطة وأغرى ملكتها هيلانة ، مثال الجمال وآيته ، وجمع الحسن وغايته
أن تتركها وتفر معه ففعلت ، فقامت الحرب ، وزحفت جيوش اليونان
على طروادة بقيادة أغا ميمنون « Agamemnon » حتى وصلت إلى الحاضرة
« إليون » وحاصرتها عشر سنوات انتهت باستيلاء اليونان على المدينة على
يد أخيل Achilles بطل اليونان .

محور القصة هو « غيظ أخيل » ، فقد حدث فى إحدى الغارات أن سبى
الجيش اليونانى فتاتين ، إحداهما كريس « Chryse » بنت كاهن « أبولون »
، كانت من نصيب أغاممنون . ذهب أبوها ليفتديها فرفض أسرهما حتى تساق
إليه سبية غيرها ، فاستنزل أبوها سخط الاله « أبولون » على اليونان فهزموا ،
وأخيرا تنازل أغاممنون عن سبيته ؛ ولكنه استولى مكانها على فتاة أخرى
كانت من نصيب أخيل ، وكاد يقع بينهما القتال ويفتك أخيل به لولا
أن أدركته « أثينا » إلهة الحكمة وصدته عما كان يريد ، فاعتزل أخيل القتال وشكا
إلى أمه « تيتيس » إحدى بنات الماء ، التى صعدت إلى السماء لنشكو إلى
« زيوس » Zeus كبيرا لآلهة (المشتري) فوعدها بخذلان اليونان حتى يطيب
أخيل نفسه . وتوالت الهزائم على اليونان وثقل عليهم الخذلان ، فأرسلوا إلى
أخيل يسترضونه ليقودهم فأبى ، فزاد هيكتور زعيم الطرواد فتكا باليونانيين
وكاد يفرق سفنهم . وقتل فرطقل « Partocle » صديق أخيل ، فلما علم بذلك
ثارت نفسه ، وتقدم للاخذ بأر صديقه ، وبطش بجيش طروادة بطش
الأسود : ففروا وتحصنوا فى معاقلم إلا هكتور بن فريام ، فقد برز لأخيل
فقتل ، وألقيت جثته إلى أبيه ليدفنها .

هذا هو ملخص القصة ، وقد اعتبر فولنير ، ونقاد القرن الثامن عشر في فرنسا هذا النوع وحده جديرا باسم « الملاحم » ونقوا ما عداه . أما النوع الثاني ، وهو التاريخي فسيأتى الحديث عنه عند كلامنا على مكان الشعر عند الرومان

تطور الملاحم في القديم

إن النوع الدينى من الملاحم فى اليونان هو أقدم ما أوحى به الشياطين إلى أوليائهم من الشعراء ، وقدم هؤلاء لكل من تلاهم مثلا فى النصائد المتعقبة بالبطولة . وظل الشعر القصصى سائدا طوال أربعة قرون ثم ترك الميدان للشعر الغنائى . ومع ذلك فقد تطور هو أولا ونشأت له فروع . واتسع معناه ، كان فى أول الأمر دينيا حرسا ، ثم تحول إلى فلسفة ، وانتقاد وتهكم ، ووجدت منه أنواع لا أثر فيها للبطولة الدينية أو الوثنية . وجاء بعد الإلياذة نوع تعليمى ينسب إلى اليونان فى القارة لا فى الجزائر ، وأهم من يمثله هو هسيود Hesiod و إليه ينسب نوع آخر هو قصائد (الأنساب) ، وهو نوع تولد من الأناشيد كما خرج الشعر القصصى منها ، بمقتضى التطور الطبعى للروح التاريخية ، والرغبة فى إتمام الأساطير والخرافات ، ووضع أنساب للآلهة وأنصاف الآلهة .

ثم جاء بعد ذلك شعراء تقربوا من التاريخ ، وكتبوا قصصا هى أقرب إلى التاريخ الحقيقى منها إلى الشعر القصصى ثم طغى الشعر الغنائى ، وقوى سلطانه ، فدالت دولة الشعر القصصى ، ومن بعده بقليل دالت دولة اليونان .

أما الرومان الذين ورثوا حضارة الإغريق وسيادتهم فلم يكن للملاحم معنى واضح عندهم ، ولم يكتب شعراؤهم « عملا قوميا » أو قصة وطنية مركبة من مجموعة من الأساطير تركيبا طبيعيا منسلسلا . أو من الخرافات المركز حول حادثة خاصة ، أو فكرة معينة تعطى القصة وحدة وانسجاما ، ولم يكن لهم فى أوج عظمتهم تقليد خاص فى الأوزان الغنائية . ذلك التقليد الذى هو شرط من شروط الشعر القصصى يميزه من التاريخ . بل كان ذلك عندهم صناعة واقتفاء لآثر اليونان السابقين .

لم تعزز الرومان - كما لم تعزز العرب - كبار الجراذث التى تنير الشعاعية .

وإنما أعوزتهم الفسحة من الزمن . والفراغ من العمل مدة القرون الخمسة الأولى لدولتهم ، إذ كانوا فى شغل بالحروب والسياسة والتشريع والأعمال الاجتماعية ، وكان خيالهم فقير اولغتهم غليظة حشنة . فاكفروا بالافتراض والنفايد .
الدرة الثانية فى عهد الملاحم هى الإنياد :

الإنياد « Enchiridion » مؤلفها فرجيل عاش فى القرن الأول قبل المسيح فى زمن أكتاف . مات فرجيل قبل أن يتمها ، بل أراد أن يتضى عليها . تتبع فيها تاريخ روما كما كتبه Annus وصل فيها إلى نهاية الاتساق والنبيل والركة . وقلد فيها هرمر وثيوكرت . بدت فيها بعقريته الشخصية على أتمها ، وكذلك حبه وغرامه بالطبيعة ، وعلو أسلوبه إلى أعلى الدرجات .

لم يكن الشعر القصصى ، أو النصصى الشعرى ، خاصا باليونان أو الرومان بل كان معروفا عند معظم الأمم الآرية منذ اجتيازها مراحل البداوة . فعند الانجليز الملاحمة المعروفة باسم ال Bewulf وعند الأسبان ملحمة « السيد » التى افنيس منها كورنى روايته ، وعند الألمان كثير منها منى على الأساطير الجرمانية القديمة وأشهرها فاوست ، أما الدليان والبرتغال فتد كثر كتاب الملاحم عندهم كثرة عظيمة . أما الشرقيون من الآريين فعرف من ملاحمهم « مهابهار » الهند . ومنظومة شهودى التركية ، « شاهنامه » لشاعر تركى ملتب بالفردوسى الطويل كتبها أيام السلطان بايزيد . وأما « شاهنامه » الفردوس فى من أمهات الملاحم التاريخية . بدأها شاعر اسمه الدقيقى . وأتمها الفردوسى ونسبت إليه ، وفيها ذكر تاريخ ملوك الفرس منذ الأكلورة ، أما أشهرها على الإطلاق فى العصور الحديثة فى : « الفردوس الضائع » Paradise Lost لأعظم شاعر إنجليزى بعد شكسبير ذلك هو « جن مائن » John Milton وهى تمثل النوع الدينى المقتبس من الكتب المقدسة . وتعتبر ثلاثة الملاحم المذهبات فى قصص الملاحم . أما موضوعها فهو « سقوط الانسان » أو خروج آدم من جنة الخلد لأكله من الشجرة بإغراء حواء . أخذ ملتن هذا الموضوع من الكتاب المقدس . ولكنه طبعه بطابعه الخاص ، وأبرز فيه شخصيته واضحة كل الوضوح . قسمه اثنى عشر

كتابا تبدأ بخلق العالم . وأعظم مواقفها هو إغراء الشيطان لحواء ثم إغرائها
هي لآدم . أما جهنم التي رسمها في كتابه فهي مثال من أمثلة السمو الشعري
الذي لا يجارى . وكثيرا ما قارن النقاد بها جحيم دانتي وفضلوا الأول على
الثاني . أما رأيه في المرأة . وقضاؤه عليها بأنها أقل عقلا ودينا من الرجل .
وأنها سبب مصيبتيه وطرده من الجنة ؛ ورأيه في إبليس وثورته ضد الله فهي
آراؤه هو متأثرا بحياته الخاصة . إذ كان ضد النساء ، وضد الملكية في زمنه .

العرب والقصص الشعرى

هذا النوع من الشعر غير موجود في الأدب العربي الجاهلي بالمعنى الفني له
تبحث عنه فيعيك البحث . ولا تظهر منها جهود بقصة كاملة على أسلوب
الملاحم وطريقتها في الشعر الأوربي قديمه وحديثه . هنالك شعر للدمج أو
الفخر فيه إشارات الى قصة حدثت للشاعر أو قبياته . والأمر لا يعدر ذلك .
مع أن أيام العرب ومراقعهم وأبطالهم فيها غناء أى غناء للشاعر القصصى .
ولكنهم — كما يرى فريق من الناقدين — غير مستعدين بفطرتهم لإنشاء
هذا النوع من الأدب . أيامهم ومواقعهم من أمثال حرب البسوس ، وداحس
والغبراء . ويوم بغاث بين الأوس والخزرج ، ويوم ذى قار بين العرب والفرس
وأبطالهم من أمثال : الماهل وكليب ، والحارث بن عباد ، والربيع بن زياد .
وهانىء بن مسعود ؛ وعقائدهم وأوابدهم وشياطين شعرائهم كلها تعين العقلية
القصصية على خلق جميل وابتداع جذاب ؛ ومن الجائز أن يكون لهم شعر غنائى
— وهو المرحلة الأولى في طريق الشعر القصصى — خاطبوا به اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى ، وهبل الأعلى . ولكنه ضاع في ثنايا الأجيال لعدم
تدوينه أو تناقله . واشتغال العرب عنه بالمدح والفخر ، وبالنباهى بالنصر ،
والخض على أخذ الثأر . ولكنهم لم يكونوا في فسحة رافقه تسمح لهم بنسج
القصص ، وحياسة الملاحم على نير معروف أو صبا في قالب متفق على سبك
القصص فيه . إذ أن القصص المنظم نوع من الرفاهية في الأدب يعمد إليه الكاتب
في أوقات الفراغ . وأنى للعربي المحارب كثير الغارات بشيء من هذا الفراغ !

على أنه مع ذلك قد وجد شئ من الشعر القصصى لم يعتمد إليه قائله ، وإنما جاء عفواً فى ثنايا مدح أو فخر . الأول فى معلقة زهير بن أبى سلمى يمدح هرم ابن سنان والحارث بن عوف وقد حملا حمالة القتلى فى حرب عبس وذبيان ، بدأها بالوقوف على دمة أم أوفى بحومانة الدراج بعد عشرين حجة ، وقد عرف الدار لأيا بعد توهم ، فلما عرف الدار قال لربعها « ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم » ثم وصف الطعائن اللأى « تحملن بالعلياء من فوق جرثم » وقد سرن و « القنان » (١) عن يمينهن ورفعن الأنماط والكلل الحرا ثم ظهرن من السوبان وقطعنه ، ثم ملن فيه وخلفنه وراءهن ، حتى وردن الماء زرقاجاه عند وادى الرسل (٢) فوضعن عصى الحاضر المتخيم .

وفيهن ملى لللطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم
ثم خلاص من هذا إلى مدح الرجلين مقهما لها : « لعم السيدان وجرتما على كل حال » لنداركهما عبسا وذبيان بعد ما تمانوا ودقرا بينهم عطر منشم فى حرب عركتهم عرك الرحا بتفالها ، وأشار بعد إلى حصين بن ضمضم الذى أبى أن يقبل الصلح حتى يأخذ بدم أخيه هرم بن ضمضم وفعل .

وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم

وقال سأنضى حاجتى ثم أتقى عدوى بألف من ورائى ملجم

ثم خلاص من هذا إلى الحكم التى ختم بها معلقته

فهذه قصة الصلح والأشارة إلى الحرب لم تكن مقصودة ، ولكنتا على كل حال نرى دقة الوصف ، ولطف الإشارة ، وتتابع القصة ، وهى مع ذلك خالية من التصيل والالمام بدقائق الحوادث .

والثانى . القصص فى ثنايا الفخر ، فى معلقة عمرو بن كلثوم التى يقال إنه أنشأها ارتجالاً فى حضرة عمرو بن هند ، وقد اختصمت بكر وتغلب إليه وهما على أبواب حرب كاد يثيرها ما يروى من أن ناساً من تغلب ، قبيلة عمرو بن كلثوم جاءوا إلى بكر بن وائل يستنسونهم فطردتهم بكر للحقد الذى كان بينهم ، فرجعوا

فمات منهم سبعون رجلاً عطشا . أبى عمرو بن هند أن يحكم بينهم حتى يجعل في وثاقه سبعون رجلاً من أشراف بكر . فإن كان الحق لتغلب دفعهم إليها . وإلا أطلق سراحهم . فلما أصبحوا جاءت تغلب يقودها عمرو بن كلثوم . وقال الحارث بن حلزة لقومه إنني قد قلت خطبة — يريد قصيدته المعدودة من المعلقات — فمن قام بها ظهر بحجته . ورواها ناساً منهم . فلما قاموا بين يديه لم ترضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد من أمه قال لهم والله لا كره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور وينضح أثرى بالماء إذا انصرفت عنه ، وذلك أبرص كان فيه — غير أنني لا أرى أحداً يتوم بها مقامى . وأنا محتمل ذلك لكم . فانطلق حتى أتى الملك فلما نظر إليه عمرو بن كلثوم قال الملك : أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلة فأجابه الملك حتى أخممه وأنشد الحارث قصيدته :

أذنتنا بينها أسماء رب ثاويل منه الثواء

وهو من وراء سبعة ستور وهند تسمع . فلما سمعته قالت : تائه ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا الأول يكلم من وراء سبعة ستور ، فقال الملك ارفعوا سترا ، ودنا ، فما زالت تقول ويرفع ستراً فستراً حتى صار مع الملك على مجلسه ثم أطعمه من جفثته ، وأمر ألا ينضح أثره بالماء . وجز نواصي السبعين من بكر ودفعها إلى الحارث ^(١) فأغضب ذلك عمرو بن كلثوم فأنشد قصيدته . وفتخر ، ويتص أسباب ذلك في معلقته إذ يقول :

أيا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليتيما

ثم يستمر بعد ذلك في فخره بعزة قومه ، ويصف بأسهم في الحرب ومنعهم من إليهم وطعنهم ما تراخى الناس عنهم ، وضرهم بالسيوف إذا اقترب منهم عدوهم في مواقع :

تخال جماجم الأبطال فيها وسوقاً بالآما عزيز ^(٢) تميئا

ثم ينصرف إلى عمرو بن هند بخطابه :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوبينا
ورثنا مجد علفمة بن سيف أباح لنا حصون المجدينا^(١)

ثم يفتخر بآبائه الذين ورثهم من أمثال مهلهل، وعتاب، وكلثوم جميعاً،
وذا البرة الذى حبر عنه عمرو بن هند وقبله الساعى كليب. ثم يفتخر بموقفهم
يوم خزاز وذى أراطى ويتحدث بعد ذلك إلى بنى بكر قائلاً :

إليكم يا بنى بكر إليكم ألما تعلموا منا اليقيناً

ويعصف كتابه وعليها البيض والياب اليماني « وأسيافها يقمن وينحننا »
والخيل الجرد الى تحملهم غداة الروع، ثم يقول إنهم خرجوا وراءهم يبيض
كرام يوقدن غيرتهم ويثرن حميتهم ويختم قصيدته بقوله :

ألا لا يجهلن أحد علينا فذهبل فوق جهل الجاهلينا

أما معلة امرئ القيس ومعلقة عنترة والحارث بن حلزة فكلها من قبيل
الشعر القصصى. غير أنها كلها لا تسمو إلى أن تكون قصصاً من نوع الملاحم
لعدد موضوعات الحديث فيها، ولأن القصص فيها عارض

ثم جاء الإسلام. وتشاغل الناس بالفتوح، وعقل القرآن ألسنتهم ببلاغته
وأدهامهم عن أنفسهم وعن شعرهم فشغلوا به وبدعوته حتى دانت لهم مشارق
الأرض ومغاربها، فلما استقر قرارهم شغلوا بتثبيت دعائم الملك، وتوكيد
أركان الحكم، واستعان خلفاؤهم بالشعر واتخذوهم لسان السياسة التى يريدونها
وجرلوا لهم العطاء، وانحى أى أثر للشعر القصصى الحماسى أو الدينى حتى جاء
عصر الترجمة فى أيام المأمون

عصر الترجمة الأدب اليونانية والرومانية

لم يتأثر الأدب العربى بالأدب اليونانى مباشرة فى عصر الترجمة لأن هذا
الآخير لم ينقل إلى العرب، ولم يعرف عندهم، وذلك لأنه أدب أمة وثنية تكثر
فيه الآلهة وتعدد، وهو يتحدث عن عادات واعتقادات لا يسيغها العرب، وهو

١ يقال إن علفمة هو الذى أزل تغلب الجزيرة

كألى أيضاً إذا قسناه بالعلوم الأخرى التى عنى الخلفاء بترجمتها كالطب والجغرافيا والمنطق ولم يكن المترجمون من العرب لهم القدرة على نقل الالياذة مثلاً إلى لغتهم بل كانوا من السريان الذين لم تبلغ إجادتهم لغة العربية حدا يجعلهم يقدمون على تلك الترجمة شعراً ، فاكثفوا بنقلها إلى لغتهم السريانية . وهذا السبب نفسه هو الذى أدى إلى ترجمة الآداب الهندية والفارسية لأن المترجمين كانوا من كبار كتاب العرب أو شعرائهم كإبن المقفع .

كان العصر الذى نحن بصددده من أكثر العصور امتلاء بالشعراء المجيدين والرواة النابهين من أمثال الأصمعى وحماد وخلف ، وكانت الشعورية على أشدها أفلم يكن ذلك حافزاً للشعراء من البطون العربية أن يتغنوا بمجد أسلافهم قصصاً أو يتحدثوا عن فتوحهم ومغازيهم حديثاً مسلسلًا منسجماً ؟ إنهم لو انصرفوا إلى هذا النحو من الشعر لملأوا لنا الأدب بنفائس منه وذخائر ولكنهم كانوا عنه فى شغل بشعر المدح والوصف واللمو ومجالس الأنس والسرور .

وليس معنى ذلك أن الأدب العربى صفر من « الملاحم » مقفر من هذا الضرب من الشعر ذى المكانة الممتازة فى الآداب الآرية ، فهناك نوع من القصص الممتازة بفكرتها لا بأسلوبها قريبة كل القرب من شعر الملاحم : فإذا تجاوزنا عن ضرورة الظم — وهو ما أراه — زادت ثروتنا من هذا النوع ، واستطعنا أن نلحق المقامات ورسالة الغفران بالشعر القصصى ، أما قيد النظم فهو مما يحمل الميدان أضيق . هذه النقص هي الزير سالم وعنترة بن شداد ، وأبو زيد الهلالي ، والبراق ^(١) . ثم الموالد النبوية التى تمثل من الملاحم نوعاً قائماً بذاته ، ودره القريبة فى الآداب الأجنبية هي « الفردوس الضائع » لما تلى التى سبقت الإشارة إليها ، ولأتحدث عن قصة عنترة الآن :

قصة عنترة :

لها أصل من التاريخ ، تذكر لنا نشأة عنترة فى حادثة خرافية ، وتصف بطولته وكرمه وحبه ، وتعرض صورة جذابة لحياة البادية وعادات الأعراف

من شعر وغزو وأخذ الدار ووجر بحماية الجار . ثم تقع الخنوس وميتين عنتره وعمره من مرسان العرب وينهب بعد الانصار عليهم إلى مصر والقسطنطينية . محمد لنفسه ذكرا سائرا بطولته وشجاعته ، ثم يموت كما مات سليمان عليه السلام - مبة تخيل إلى رائيه من الأعداء أنه ما زال حيا ، وذلك ليصد حسنا مهاجما . وبعد أن يتقدم جدد يخر سافطا (١) وهى مية أشبه بمية سليمان بن داود عليهما السلام فى سورة سبأ . قال تعالى : « فما قضينا عليه الموت ما دلهم على مرته إلا دابة الأرض تأكل منسأته . فلما خرت بينت الجح أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

بدأت القصة فى صدر الاسلام فى حروب الحجاج سنة ٧٧ من الهجرة ، فى الواقعة التى قتل فيها عتاب بن ورقاء . فقد ذكر ابن الأثير أن عتابا سار فى أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقصر عليهم ثم يقول : « أين القصاص ؟ » فلم يجبه أحد ، فيقول « أين من يرى شعر عنتره ؟ » فلم يجبه أحد .

فكانوا يروون شعره للتخسيس ، ثم جمعت أخباره وأشعاره ، وتناقلها الناس رواية عن الأصمعى حتى جمعت بمصر . وقد زادت راسعت ، فى أواخر القرن الرابع للهجرة فى زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، جمعها رجل اسمه الشيخ يوسف بن إسماعيل ليصرف الناس عن التحدث بريبة حدثت فى بيت العزيز ، وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية ، عالما بأخبار العرب ، كثير النوادر والأحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبي عبيدة ، ونجد بن هشام ، وجبهة الأخبار ، والأصمعى وغيرهم من الرواة ، فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها فى الناس فأعجبوا بها وشعروا عن سواها . وقد قسمها اثنتين وسبعين جزءا . ينتهى كل واحد منها بنهاية نعت فى النفس أشد الشوق إلى ما تلاها ، وقد أثبت فيها ما ورد من أشعار العرب المذكورين ، ولكن تداول النساخين أفسد روايتها .

أما الموالد فهى أشبه بالردوس الضائع موضوعا ، ولكن شتان بين الورد أحدهما مطارز موسى ، والآخر قديم خلق رث . وهو الذى لبسته الفصة

في الموالد النبوية . هذه الموالد تتحدث كلها عن آدم في الجنة وخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى ، وزواجه منها على صداق قدره عشرون صلاه على محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يدخل الشيطان إلى الجنة خلسة ، ويغري آدم كما حدث القرآن . « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » ثم يهبطان إلى الأرض ويعمرانها وتنسلسل منهما الأنبياء والرسل حتى إبراهيم وإسماعيل ، ثم إلى محمد وعدينان ، ثم إلى عبدالمطلب وعبدالله ، ونور محمد في أشاء ذلك ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية حتى يستقر في آمنة بنت وهب تسعة أشهر وبربع بعدها للوجود هدى ورحمة للعالمين .

ذلك هو يحمل الموضوع الذي تدور حوله الموالد ، وهو شديد التمسك بموضوع ملتن : كلاهما مقتبس من الدين ، وكلاهما يدور حول خلق العالم وزلة الإنسان الأول في الجنة بإغواء الشيطان .

والموالد لها قالب خاص ، وقصصها دائر بين النثر والشعر . والنثر هناك مسجوع مسجعا مزدوجا من نوع يكاد يكون خاصا بالموالد ، ذلك هو الإيسار على اللام أو الميم في واحدة ، ثم في الياء المشددة والتاء في التي تليها وهكذا . ثم تبتدىء كل قصيدة بصيغة خاصة تلائم النثر السابق في مسجعه : مثلا

« وخلقت حواء من ضلع آدم اليسرى وهو نائم يامعشر الأثام ، وذات يوم الآلام بالكلية ، فما اسديقظ ورآها كأنها البدر انتمام . مديده إليها فمغنته ملائكة الكروية . حتى يؤدي مهرها ، فقال وما مهرها يا معشر الملائكة الكراء . قوا أن تصلي على محمد عشرين عديدة . فأدى المهر وتزوج بها وشهد على العندكار الملائكة » أما الصيغة التي تسبق كل قصيدة فهي في مثل هذا الازدواج :

المهم عطر قبره بالتعظيم والتحية ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام .

وهناك في العصر الحديث ملاحم أو أشباه الملاحم ، كملحمة « أحمد محرم » حول تاريخ الرسول ، وملاحمة حافظ في قصيدته المعروفة بامعيرة . وملحمة المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب المعروفة « بالعلوية » وكلها من النوع

الباريخى ، وكوصف حرب اليونان والترك للرحوم شرقى بك وهى من نوع
والطولة الخريية ، وقد حاول بعضهم محاولات أخرى منشورة فى ثنايا دواوينهم
ولكنها ليست بذات بال .

وبعد فإن تقصير العرب فى إنتاج الشعر الفنى لا يحط من قدرهم ، فإن اكل أمة
ميرذول لكل شعب طابعا فى التفكير والآدب ، ولعل عصرنا هذا أكثر
العصور ملائمة للإنتاج فى هذا النوع بعد أن عرفنا مركزه فى الآداب الآرية
ويشت للشعوبيين من الأوروبيين أننا ذوو خيال وقدرة على الابتداع والإشياء .

عبد الرزاق صميد



بين الحقيقة والخيال

الأدب القومي والدعوة إليه

للمؤلف عبد اللطيف المغربي

المفتى بوزارة المعارف

في أصيل يوم باسم ، رفاق النسيم ، مجلو الصفحة ، جم الروعة ، أحببت أن
أطوى طريق إلى البيت متبياً على الأقدام ، فاندفعت في غمار الناس أتملح بما
تراه العين من مشاهد ، وأسكن إلى ما يملأ مسمعي من لجج الطريق ، حتى أمت
بى السير إلى جمع من الدهماء يضطربون كل مضطرب ، كأنهم وقوف على ظهر
سفينة قلقه يعبث بها بحر جياش ، ازدهته عاصفة هوجاء خفت رزاته ، وق
وقاره ، ووجن جنونه ، فلا تعرف لراكبه قاراً ، فدنوت منهم في رفق وحذر ،
أتعرف ما الخبر ، فأخذت عني رجلين يتلاحيان في عنف ، واستحال الأمر إلى
عراك شديد سالت فيه الدماء ، والناس من حولها يقدمون ويتراجعون
متأثرين باتجاه الصراع . ولتد ما كانت دهشتي عظيمة حين علمت أن المسكين
إخراش ، وإن اختلافهما على قليل تأنه من النقود ، هو الذي أثار بينهما شر
حتى هم كل منهما أن يورد الآخر مورد النصف ، فوقع ذلك من نفسي موقع الأسف
والحسرة ، وعرمت كيف يطنخي عرض الدنيا الزائل على القرابة فيقطع وتهجم
ويعصف بأواصرها .

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم
وسرت في الطريق مفكراً فيما رأيت ، فما راعني إلا أحد الدهماء يتنم
في أسهل باليه ، وهيئة مبتذلة ، وجعل يحاذيني في المسير لا يحيد عن ذلك مدسرة
فندرت أن أسأله ، وتنكبت الطريق لعل أتق هذا الطاريء البتيل ، فلم يزد ذلك ، إلا
إلحاحاً بمسيرتي حتى برمت به ، فوقف في مكاني وحدجته بنظرة فاحشة وبدأت

عومل العصب تـُحدِطَ رِيَّانِها إلى نفسى ، وكنت أئدر أنه تاركى بعد هذا ،
والكى دهشت أن رأيت يقابل عيسى باسام ، وتبرم باطمئنان ، فعجبت
من أنه وحده فى أمره ، وما عثم أن تسطيه مصاحف ، فنكرت منه هذا
القبول ، يد أنى استجيت أن أقبض يدى عنه ، فصاغتته وتقرست فى وجهه ،
فعرفت من ابنسامته العذبة ، ووداعته البطرية ، وإشعاع عذبه القوى أنه صديق
« مصفور » خيالى وحيته ومرتضى طريقتا يفمرنا السرور بهذا اللذة المفاجىء
واجو الرائع والوقت المرافق ، وطعنا ننقل بين ألوان من الحديث ممتعة :
مصفور : لقد أفعم قاي حزن ذلك النزاع بين الآخرين ، وأنى لأعجب العجب
كله كيف تباع بكم المطامع ما بلغت من إنكار حتموق القراية ، ويضرب عليكم
الحق رواقه ، فتنسوا م كان يحمل بالعملاء أن يتحلوا به من نصفه
والسالم وحلم وتدبر فى أعقاب الأمور ، فلا يطغى الأخ على أخيه
ولا يبتك القوى بالضعيف ... إنا عشر الطيور نعد أنفسنا على تجردنا
من تلك الشئ الذى تسمونه « عقلا » وهر مبعث نفركم وزهر كم علينا — أسعد
مكحالا وأهنا بلا ، وأصمى حيافا وأوفر طمأنينة ، ورى النزاع فى ديننا ضربا
من السوء والحق ، فنعم الله عظيمة لا تنفذ ، وأين تقع منها حاجة الناس ؟
ولس ، ما زالت تجرد بمطرها ، والأرض ما رحت تقذف بنباتها ؛ وكان مثار
دهشت النفاق جهر النظرارة حول الأخوين يلهو بما يرى ويسمع ويرى الدماء
قد صبغت وجوههما وهو لا يعنيه من الأمر شئ .

أست ترى معى أن الخلق القومى بين أمتال هؤلاء فى حاجة إلى تقوية
وتهدب ليكونوا للآخر أطوع وإلى الاعتدال أقرب ؟ وأفصد بالخلق القومى
تعدد على صالح الجمهور والغضب لسكل ميمس آدايه ونواميسه الاجتماعية ،
فهو ذاك الرباط المندس الذى يربط بعض الأفراد ببعض ، ويشعر كلا منهم
أنه ذاك بالذود عن حياض الصالح العام .

— إنى أوافقك على أن الخلق القومى قوة عظيمة لها بالغ الاثر فى
نظيم الحياة الاجتماعية ، وهو بلا مرأى ركن من أركان الإصلاح ، متى نضج

حفر النفوس إلى السكال، وعوردها الغضب للحق، وبث فيها الاعتزاز بالعادات الموروثة والآداب الصالحة المرعية، ووجه كل فرد وجهة موفقة لاعتقاده أنه جزء من كل، يرعاه ويحصى عليه غير به ويأخذه بهفواته بما يطوفه به من نظرات الاحتقار والسخرية والتأنيب اللينيف، والوقوف في وجهه ومقاومته، فلأمدوحة له إذا عن التزام الجادة .

ولقد كان من آثار ما ذكرت انصراف كل إلى شأنه الخاص وتغافله عما يحرج الكرامة القومية من ضروب المجرن والدعابة الممقرته والمدوان على الآداب العامة في الطرق، وبروز بعض السيدات في السبل والمحافل والمجتمعات العامة والمتاجر بغير ما يرضى الأدب والسكال، وليس لهن من ينكر عانس ما هن فيه من هذه الجراءة وتلك الطفرة الخطيرة التي يربنها من علامات النهوض والرقى .

فأبال هؤلاء سادرات في عبثهن وإسائتهن إلى الكرامة القومية إلى غير غاية؟ اللهم إن التبعة في ذلك كله منصبة على عواقب أولئك الآباء والامهات والازواج الذين يرون بأعينهم هذا التبرج البغيض ثم يغضون الطرف ويلقون الحبل على الغارب . فهل لهم أن يغضبوا يوما غصبة ترد الكرامة إلى خدرها، وتقرأ الأمور في نصابها ؟ إن العقلاء ينظرون ويتدرون ويحكمون ، فلا يغرن أباً أو زوجاً سكوت الناس عن شأنه ، فإنه لا بد لهم من حكم عليه يرضيه أو يغضبه، والناس تعلم هذا الحكم ولا يجهله سواه . فليضع كل أب أو زوج نفسه في الموضع الذي يراه .

ولقد ذكرني الخلق القومي بشيء تلوك الدعوة إليه ألسنة المجددين في هذه الأيام ، وهو « الأدب القومي » فهل لك أن تنفني على ما يريدون من هذا الأدب لا تعرف مبلغ غنائه في أدبنا العربي ؟

العصفور: يريد المجددون بالأدب القومي في هذا العصر أن يكون الأدب مصوراً لحياة الشعب، ذا كرا لكل ما يحول في النفوس من آمال وآلام ، متعرضاً

لم يجمع في الحياة البرمجة من أحداث ومشاكل ، مستمدا غذاءه من عناصر البيئة
في درج فيها وأدواق أهلها وتعمورهم وتمكيزهم .

ويرى المجددون أن أهم ركن من أركان الأدب القومي الذي يدعون إليه
« التمسك » وأن الأدب العربي فقير إليها بمعناها المعروف في عالم الأدب الغربي
« لا أدب العربي في بلد كمصر يجب تمصيره وذلك بحصره في أفق كل ما فيه
من حقيقة وغرض يجب أن يكون مصرياً ، فلا يحمل بالشاعر أن يذكر الآن
في شعره حزوي والعقيق وقرقرى واللوى والدخول وحومل والبردان والعراشم
وذاق الضال وبطان الضباع وبراق النعاف وأمثاله من الأماكن العربية الصريحة ،
وعليه أن يستبدل بها في الشعر الحديث الزملاك والجزيرة والعتبة وباب الدوق
وروض الفرج والأهرام وأبا الهول وأمثاله .

وعلى الشاعر أيضاً أن يترك تلك الطريقة التقليدية من بدء القصيدة بالنسيب
بلمرة وبكاء الديار ونذب الطلول وأن يقصد إلى غرضه ، ومن ركوب النائم
الوحيد ، والناجية والحرف والقيود ، فنحس في عصر الكهربا والسيارة
والطيارة والقطار السريع ذى المقصدرات الجميلة ، والمقاعد الوثيرة . وإذا كان
المرء في كل زمان ومكان يعتبرهم التبديل والتغيير في الملبس والزي والعادات
أفلا يكون من حقهم النصرف في اقتهم على أوضاع وصور توائم عصرهم
وتوفق أمرجتهم . ومن الحق ألا يرضوا الوصف ما لا يعرفونه ولا يصطنعونه
في رمنهم ؛ فمن ذا الذي يفرض عليهم وصف الناقة وهم لم يركبوها ، ووصف
لصحراء وملاقاة أهرا لها ومتاعبها ورياحها الهرج وكثبانها الرملية وهم لم يسلكوها .
أليس هذا كله من باب المحاكاة غير المعتولة ؟ ومن هذا الطراز أن يظل
المكاتب أو الشاعر عاكفا على مفردات وأساليب مضى الزمن بحقائقها فأصبحت
في عصرنا أثرية لا نألفها مثل « راش له سهام النقد » ومثل « له القدح المعلى »
و « كبا زناده » و « أعطى القوس نارها » وأمثال هذه كثيرة مما لا نعرف
حقيقته في عصرنا الحديث ، فإننا لا نستعمل السهم ولا نعرف كيف نريشه ، ولا
القدح ولا الزناد ولا القوس ، ولو تدبر الإنسان في قراءته لمرت به ألوان

كثيرة من هذا النوع فحسبه ما ذكرنا .

أنا - أشكر لصديقي العصفور هذه الجولة الصادقة ، وعيائه برصد
ظواهر الأدب الحديث وتعرف اتجاهاته الجديدة ، وأحمد له هذا البيان عن
الأدب القومي ولید هذه الأيام وتقریه إلى القول تقرباً مفيداً ؛ ولكني أريد
أن أقف من بعض هذه الظواهر التي صورتها مرقف النافذ، ليعود الحق إلى
نصابه وتجلى الحقيقة سافرة لا لبس فيها ولا خفاء ، فأقول :
تأثر كل أدب بالبيئة أمر معقول وهذا ما تجرى عليه الآداب في الأمم
قديماً وحديثاً .

فإن الأدب صورة صحيحة لحياة كل أمة ، ونحن إذ ورثنا العربية لغة تكلم
بها ، فقد ورثنا معها ديناً وخلقاً وعادات وأفكاراً عربية ، وهذه الصلة الوثيقة التي
ربطتنا بالأمة العربية لا نستطيع تجاهلها ولا تتصور كيف نتصرف عنها ؛ في
جمال هذه اللغة وتمييز القوة الحيوية لها أن تظل جارية في الطريق التي مهدها لها
أصحابها ، فنحن نخطئ بما فيها من المعاني التاريخية والدينية ، ونقتبس ماشئنا من حكمها
وأمثالها ، ونجری على السنن المألوف من مجازها واستعارتها وتشبيهها وكل
ما رتضيه الدوق العربي ويسيفه ، وكيف نأخذ اللغة ونتجافى عن معانيها العربية
وأفكارها الموروثة ، ونخضعها لأفكارنا الحديثة القومية .

وكيف نتصرف عن الينبوع العربي في تمكبرنا ومعانينا ، ثم نمهد الطريق
للينبوع الغربي في التفكير والدوق والنفافة حتى طمّ السيل وعظم الخطأ ،
وبهذا نسيء إلى لغتنا ونحرمها مراعيها الخصبة التي نشأت فيها ، ونروضها عن
مراع مرة المذاق غريبة الطعم حتى تهزل وتشرف على الزوال ، وهذا بلاربع
يبعدنا عن لغة العرب على مرور الأيام ويجعلها لغة ممسوخة يكثر فيها الدخيل
وتزخر بالأفكار والاختلاط والأذواق المتافرة ، ويقطع تلك الرابطة التي
وهي روح العربية الصحيحة التي تغمر قلوب الأمم الشرقية الناطقة بها ، حب
والولاء لها ، حتى أصبح الشرق كله كأنه منطقة واحدة ، فإذا شد أشاد في مصر طرب من
بالشام والعراق وفارس ونجد وتهامة والحجاز والمغرب . والله درشاعرنا المرحوم

حافظ إبراهيم حيث يقول في تصوير الصلة المغوية الروحية بين مصر والشام:
 حيران للضاد لم تهتك سترهما ولا نحرال عن من مغنما الأدب
 أم اللغات غداة الفخر أمهما وإن سألت عن الآباء فالعرب
 إيا أمت بوادي النيل نارلة بات لها راسيات الشام تضطرب
 وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألم أجابه في ذرا لسان متجب
 لو نخلص النيل والأردن ودهما تصاغت منهما الامواه والعشب
 وليس معنولا أيها الأخ الكريم أن يكون الأدب أقليميا ملحا في
 الإقليمية التي يريدها المجددون ، فالآداب الأوربية التي يجعلونها مياسير بدون
 تطبيقه على الأدب العربي تنعرض لحياة الأقليم وتمتد إلى ميراث غيره من
 الأقاليم الأخرى ، وما كان الأدب ليحجز في بئس محدودة ويضرب عليه نطاق
 إقليمي ، فذلك لاسبيل إلى تحقيقه .

والعجب كل العجب من هؤلاء المجددين أنهم يتبرمون بالتراث العربي في
 الأدب ويقبلون على كل ماهو ثراث فرنجي من لغة أو خيال أو صناعة أو عادة
 أو تسمية ، مما يتير الأثم ويبعث الحسرة في قلوب المخلصين للغة الضاد : ألم تر
 إلى بعض الأئسر الكبيرة كيف تقبل في تربية أبنائها وبناتها على اللغات الأوربية
 ومرض عن العربية ، وترى أن الاجادة في الأولى خير من الثانية ؟ وليس
 يسعدك ما تراه من تشبه كثير من شبابها المولعين بالحضارة الأوربية فتراهم
 يلون ألسنتهم بمناسبة وغير مناسبة باللغات الفرنجية وهم في وسط كل مافيه
 عربي ، ولا يتعظون بما يرونه بين سمعهم وبصرهم من حرص الأجنبي على لغته
 فتراهم لا يكاد ينطق بغيرها إلا بالضرورة حائرة . وكان بوردى أن يتفهموا بما يليق به
 غايهم الأجانب من العناية بلغاتهم والدعوة إليها والاحتفاظ بها وهم في غير بلادهم ،
 ولديثير دهشنتك في هذا المنام أنا ونحن في بلاد عربية نخاطب هؤلاء بالغانهم
 انه نجمة وتجاهل حقوق لغتنا العربية ، وكان المنطق المستقيم يدعونا إلى الاحتفاظ
 باعطق بالعربية في بلادنا . ومن أراد حديثنا أو الكتابة إلينا اتخذ العربية
 إلى ذلك سبيلا .

وقد يبلغ لك الأمر غاية من الأسف أو الضحك حين ترى مبالغ ادفع
بعض أرباب الحرف والصناعات في تسمية محالهم بأسماء أفرنجية معربة ، وإن
هذا ليقلقك على حب المحاكاة لكل ما هو غربي وعلى متدارتها وتنافي حقوق
لغتنا ، وتفضيل غيرها عليها ؛ سر في الطريق واقرأ أسماء بعض المحال التي تمر
بها يدهشك ما ترى من نحو « صالون لاجرسون » و « صالون هاي لايت »
و « صالون دي باري » و « كازينو براندفو » مما لا تفقه لها معنى ولا ترى له
رابطه بها . إن العزة القومية كانت تقتضي غير هذا ، وكان في التسمية بالاهرام
والبيل مندوحة ومعزة لقوميتنا . إن صبر أم الضاد على ما تلاقي من إغراض
لعظيم .

ولولا ما وهب الله لها من قوة كاملة أفدرتها على تخطي القرون الطويلة
بين أحداث الزمان المتتابعة ، ولولا أنها لغة الكتاب الكريم الذي تهوى إليه
أقنعة المسلمين الضارين في بتاع الأرض ، لذهبت بها الأيام ، واحتواها الماضي
الرهيب ، كما احتري غيرها من لغات وأجيال ودول .

يا أم الضاد : لا تحزني ولا تهني . إنني لألمح من وراء هذه النهضة الحديثة
التي نسبح في أنوارها - بارقا من الأمل يبشر بالاقبال عليك والعناية بك :
ولك في قلوب الذين غذيتهم بأدبك من كتاب وشعراء ، ولك في حراسك الأمناء
الذين تزخر بهم حصونك في الشرق كله والذين يذودون عن حياضك - العراء
والأمل المرجى ؛ ولن نرضى اتباع رأي المجددين فيك ، وسنظل نكرع من
معانيك وذخائرك العربية الخالصة ونفخر بها كل الفخر ، وسيدوم اعتزازنا
بكل ما هو تراث عربي ، ولا يدانيه في قلوبنا تراث ما نمتغزونا به المدينة الحديثة .
ويزهى به علينا المجددون

العصفور : ما كنت أقدر يا صديق أن ينتهي بنا الحديث إلى حيث لمع
بك من الألم ، وإنني لأحمد لك هذه الغيرة على العربية ، وهذا الأمل الذي
بترجوه لها . وكنت أود أن يظل حديثنا كما كنا نعهد ، لا يغير من صفاء نفسك
الذي نعمت به من يوم أن تلاقينا ؛ فأرجوك معذرة .
أنا - شكراً لك أيها الأخ الكريم على شمالك العذبة ، وليس لحديث

أثر ما في غضبتي ، وإنما هي خلجات قديمة قارة في نفسي كنت ألاحظها في هدوء وصمت ، ثم أنزلها منى منزلة الحسرة والالأم الدفين . والآن أعرد بك إلى مناعة الحديث كما ألف الصديق ، وأرجو ألا يعرض ما يروعه فأقول :

أما الطريقة التقليدية التي يحاكي بها الشعراء المرلدون والحديثون قدماء العرب من بدء القصيد بالنسيب وبكاء الديار وذكر المواضع العربية من نحو حنوى والعتيق ، ووصف النافذة واتخاذها مطية النقلة في الصحراء ، فلاست من مألف هذا العصر ، وإنى أوافق المجددين في وجوب ترك هذه الطريقة والعدول عنها إلى الغرض مباشرة أو إلى مقدمة يسيرة ملائمة لروح العصر والمقام . وقد تمرّد الشعراء على هذه الطريقة وبرموا بها من قديم ودعوا إلى التحرر منها وأعلم أن أبانواس كان في مقدمة الثائرين على هذه الطريقة ، وقد عدل عنها في الكثير الغالب من شعره وأحل محلها وصف الخمر فكانت هي الثنائية في مطامع قصائده ويحنح أحيانا إلى هذه الطريقة القديمة حين يحاكي فحول الشعراء المتقدمين من شعراء البادية وذلك قليل في شعره .

ولا بأس أن أسموك أيها الصديق شيئا من حملاته على هذه الطريقة نأستمع إليه إذ يقول :

ما منك سلى ولا أطلالها درس ولا نواطق من طير ولا خرس
فيتهمك بيد القميد بذكر المرأة وعادة العرب في الزجر بالطير ، ويقول :
أعرض عن الربع إن مررت به واشرب من الخمر أنت أصفاه
وأصغ إليه حين يعرض بالنقد لهذه الطريقة في وضوح وتهكم صريح وتطرف كثير قال

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| دع الأطلال تسفيها الجروب | وتبكي عهد جدتها الخطوب |
| وخل لراكب الوجناء أرضا | تخب بها النجبية والنجيب |
| ولا تأخذ عن الأعراب لهوا | ولا عيشا فعيثهم جديب |
| ذر الألبان يشربها أنس | رقيق العيش عندهم غريب |
| بأرض نبتها عشر وطامح | وأكثر صيدها ضبع وذيب |

إذا دال الحليب قبل عليه ولا تخرج فافى ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول يطرف بكأسها ساق أريب
وهذا المرحوم حافظ بك إبراهيم يثور على هذه الطريقة في أسلوب لادع
ومنطق مستقيم فيقول:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| وخذ بزمام القوم وانزع بأهله | إلى المجد والعياء أكرم منزع |
| وقفنا على النهج القويم فإنسا | سلكنا طريقا للهدى غير مهيع |
| ملأنا طاباق الأرض وجداولوعة | بهند ودعد والرباب وبوزع |
| وملت بنات الشعر منا مرافقا | بسقط اللوى والرفقين ولعلع |
| وأفوا منا في الشرق قد طال نومهم | وما كان نوم الشعر بالمتوقع |
| تغيرت الدنيا وقد كان أهلها | يرون متون العيش ألين مضجع |
| وكان يريد العلم غيرها وأينقا | متى يعيا الإيجاف في اليد تطلع |
| فأصبح لا يرضى البخار مطية | ولا السالك في تياره المنسفع |
| وقد كان كل الأمر تصوب نبلة | فأصبح بعض الأمر تصوب مدفع |
| ونحن كما غنى الأوائل لم نزل | نغنى بأرماح وبيض وأدرع |
| عرفنا مدى الشئ القويم فل مدى | لشئ جديد حاضر النفع ممتع |
| لدى كل شعب في الحوادث عدة | وعدتنا نذب التراث المضيع |

وشعراؤنا المصريون السابقون أمثال البهازيير وابن النديه وأيدمر المحيرى
التركي المصرى وغيرهم لم يحفلوا بهذه الطريقة، وكانوا يفتشون قصائدهم بما يرمون
إليه من الأغراض في الكثير الغالب مما يدل على أن الزهد في هذه الطريقة
قديم، وأن ليس للمجددين في الدعوة إلى تركها فضل. وقد كان بعض شعرائنا
المصريين السابقين ينجح إليها أحيانا كابن نباته في شئ من الاعتدال، وابن العارض
في كثير من الإسراف، حتى غلبت على شعره وصبغته بصغة عربية محلية من
قصائده بالغزل والنسيب والإكثار من ذكر المواضع العربية الصميمة في شعره
ولعل لابن العارض في ذلك عذرا لهيامه الدينى الصوفى بكل ما هو عربى لينسجم
الموضوع والغاية.

وقد كان بعض شعرائنا الحديثين يميل إلى الأخذ بهذه الطريقة في نوع من "لغة كالمحرّم شوق بك، وبعضهم كان يعتمدونها ويفرق فيها كالمحرّم الشيخ محمد عبد المطلب حيث كان يهيم بالأعراب والبادية فيبالغ في الجزالة وطريقة الاحتذاء - وترى هذا ماثوثاً في ثنايا شعره - ويحمل بنا أن نورد هنا بعض الشيء من شعره في ذلك لترى مبلغ اهتمامه رحمه الله بهذه الطريقة وإسرافها فيها
سأل لقب «الشاعر البدوي» باستحقاق وجدارة. قال

فهل لك في صفو عيش رجاء ومن دون سلى فياف وييد
رعى الله عهدك من عاجل وحيا ربوعاً حوتها زرود
وقال :

برق يلوح وسائق يحدر يا شوق هل لك غاية بعد
ونوى تشط بنا مطرحة أنا بالغبير ودارهم نجد
يا رحمتا كبد تخونها برح الغرام ولاحها البعد
ذكرت معاهدنا بنى سلم أفلا يعود لنا بها عهد
لو أن أيام الغضا رجع أو أن ما سلفت به ردّ
واستمع إليه حين يصف الناقة على الطريقة القديمة قال :

الله في كبد بعد البعاد جرت من الجوى في مسيل الدمع تنال
سارت بها يوم جد البين ناجية في كل واد لها وخذ وإرقال
تجفر المبارك شوقاً لا يطيب لها دون السرى الأخضران الطلح والضال
تروى بنعمة حاديها إذا ظمئت فتأنف الماء وردا وهو سلسال
ترعى الفجاج بآماق يروعها في سيرها اللامعان البرق والآل
أرخوا أزمتهأ وأد الضحاولها من خيفة البين إدبار وإقبال
وقال أيضاً :

ظلال الغضا لو عاد فيك مقبل نعت بأنفاس الرياض غليلي
ولو أن أيام الأراك رجمن لي نعمت بعيش في الأراك ظليل
ولكن أن صرف الليالي سوى النوى نوى قذمت بالحى كل سيل

كأنى بالأحداج يحدين غدوة على كل محبوك الوظيف نبيل
 إذا شمن لمع الآل ألقين نحوه بكل عتيق المسمعين أليل
 ولم ترفى شعراء عصرنا الحديث من هام بهذه الطريقة وأحيا بها ضرر
 العصور القديمة كالشيخ محمد عبد المطلب طيب الله ثراه ، ولو أنك سمعت شعره
 هذا غير منسوب إليه لوقع في روعك أنك في صميم البداية في نحو صدر الإسلام
 والذي جعل هذه الطريقة مقبولة من الشيخ رحمه الله : نشأته العربية وحردة
 محاكاته لها وحسن إخلاصه لهذا المذهب ورغبته فيه عن يقين وصدق — ولو
 سلك شاعر معمرى في هذا العصر سبيل الشيخ هذه ما بلغ من القبول والرضا
 ما قد بلغه .

هذا ما أحيت أن أعقب به يا صديق على ما قد سقته من النواحي التي اشتمل
 عليها تعريفك بالأدب القومى . وأرجو أن يكون لنا رجوع إلى ما يريسه
 المجددون ودعاة الأدب القومى من تصوير الأدب للحياة وما يقع فيها من أحداث
 وآمال وآلام ، لنعرف أى غاية وصل إليها أدبنا العربى من هذا السبيل ، ولعن
 ذلك يكون في فرصة حسنة تهيئها لنا الأقدار المواتية .

العصفور : حسن ما وقفنى عليه أيها الأخ الكريم من نظرات صادقة ،
 وطرف ممتعة ، ونقدات خالصة موفقة في مناحي التعريف بالأدب القومى ؛
 وإنى لأعد هذا الموقف من أسعد المواقف بما حوى من ثمار طيبة ، وآثار قيّمة .
 بارك الله في هذا اليوم الجميل فلقد كانت ثماره أشبه به نضرة وبهاء ، وإنى لعظيم
 الشكر لله الذى وفقنى إلى لقاءك اليوم ، وقد كنت قرما إليه منذ أمر بعيد :
 ولما حاذينا شجرة لم يرعنى سوى خبز المكان من صديق العصفور ، فتقدمته
 فإذا هو يخفق بجناحيه في ذروة الشجرة ويقرئنى السلام ، ثم يرسل لحنه المطرب
 في أجواز الفضاء فيملؤه حسنا وجمالا .

عبد اللطيف المغربي

رحلة

إلى الواحات البحرية

لـؤـئـسـانـد على النجدي ناصف

مفتش المسافر بالأمم كـردية

ضربنا السحر موعدا للرحلة . وكان سجرا بديعا من أسجار الربيع ، ندى
النسيم ، عطر الأنفاس ، بهيجا منعشا ، ينسى النومان لنأذة الرقاد ، ويشيع في
الكسل المتناقل روح النشاط والحفة ، ويزين له مباكرة الطبيعة قبل أن تستيقظ
وتنضو عنها ثوب النعاس . توأغينا للموعد خفافا فرحين ، تهادى السلام ،
ونباشير يوم مهال سعيد . وانطلقت بنا السيارة لا تلوى على شيء ، كأنها
طائر أزعج من مرقده ، فانفلت في الظلام مذعورا هائما . وكانت القاهرة لا تزال
هادئة ساكنة ، كالهاجع المستغرق في هجته ، بعد نهار ناصب طويل ، زاخر
بالأعمال المضنية ، والأصوات الصاخبة .

لم نكن نحس حولنا حراكا ، ولا نسمع صوتا . إلا قليلا من عربات
الركوب عن لنا في بعض الطريق ، على فترات متقاطعة ، ترسل خيلها هنا
وهناك في فتور واسترخاء . فيترامى إلينا وقع سنابكها على أرض الشوارع ،
في إيناع رتيب تارة ، وهرجلة مضطربة تارة أخرى ، ثم لا يلبث هذه الأصوات
أن تبعد وتختف رويدا رويدا ، حتى تغيب في غيابة السكون . وكانت مصابيح
شوارع ونجوم السماء ، تنبدي منهوكة حائلة الضياء . كأنها حراس الليل
المراقبون ، نال منهم طول السهر وجهد المراقبة

ثم أخذت الأهرام تتكشف لنا من بعيد ، تسامتها السيارة ، فتلوح ذراها
هائمة ملساء لا تغضن فيها ولا تجاعيد ، كأنها الأبراج الضخام ، وتصدف السيارة عن
جانبها ، فتوارى وراء الدوح الشاخص على حفاف الطريق . وكلما دنونا من مجاثمها

زادت في أعيننا ضخامة ، وفي قلوبنا مهابة وجلالا ، حتى بلغاها معالم مجد عتيق وشواهد دنيا عريضة بادخة ، أفرغ عليها بيانها الجبارون كل ما يملك الطائفة المتسلط من أسباب القوة والإحكام ، فكان لهم ماشاءوا له من الخنود والبواب . وما هي ذى بين يديك ، فارجع البصر وقد تتبعت عليها القرون فوجاً بعد فوج ، هل ترى بها من وهن أو انحلال ؟ ثم ارجع البصر كرتين ، هل ترى هذه القرون المتطاولة — وهي لا تذر من شيء أنت عليه إلا محقة أو عنت بقره احتماله — استطاعت حتى اليوم أن تدل منها أكثر مما يستطيع الموح أن ينال من الصخرة العاتية : يتكسر عليها ، ويرتد عنها وقد مزقته كل ممزق . أليس جهد ما فعلت بها الأيام هر هذه الغضون البادية في جوانبها ، بسات من ملاستها خشونة ، ومن إشراق أديمها جهامة وعبرسا ، وماذا في دمن مادامت متينة البنية ، متماسكة الألواح .

مضت السيارة قدما في طريقها ، وخلفت الأهرام وراءها ، قياما على الحدود بين عالم الضوضاء والحركة ، وعالم الصمت والسكون ، واندفعت في الصحراء ، تطوى مراحلها في سرعة وتصميم ، كالعهد بها في شوارع القاهرة الممهدة . ومدنا تخاف السيارة اليوم من الصحراء ، وقد اتخذت لكل طارئة أهبتها ؟ فالأدوات مستكملة ، والمهندس حاضر ، والوقود مرفور ، والماء واللاطعمة غزيرة ، والمقاعد وثيرة ، والظل في الصيف ثابت لا يتحول ، والدفع في الشتاء مبرر ، والطريق أمامها واضح المعالم ، قد صنع به عجل السيارات حبكا واضحات ، هيات أن يمحي أثرها ، أو تطمس سطورها ، لكثرة ما تتعدها بالثنين والتخطيط غدوا ورواحا . وعلى جانب الطريق تتوالى الصور قائمة على كل خمسة كيلو مترات ، تعرض في ألواحها سبع ما قطعت من المسافة ، ثم أن بدأ الرحلة يسبق الركب إلى طيته ، فيتظر الناس هناك مقدمه للباعدة التي اعادت السيارة الوصول فيها ، فإذا هي تأخرت وقتا غير مألوف تجردوا لنجدتها خفلا غير وانين ولا مترددين .

فماذا بقي للصحراء من مهابة ؟ وماذا يمكن أن تضمره لساكنيها من محط ؟

قد كان الناس قديما يخشون بأسها، ويقبلون على اجتيازها إنبال المغامر
يركب الهول وهر عالم بركوبه، يرم كانوا ولا عدة لهم في اجتيازها غير الجمال،
ولا حلة لديهم يتقرون بها الماطب، أما اليرم فلا. فلتمض السيارة إذا جريته
مقارنا، لا تخاف خطرا، ولا تهاب عاقبة الاندفاع. وماذا ترك الإنسان من
صعب لم يذله، أو خوف لم يقتحمه، أو بعيد لم يدركه، أو خطر لم يعمل على
انهائه. في جر السماء، أو تحت أطباق الماء، أو في فجاج الغبراء؟ نعم هذه
السيارة الذلول، المتجيرة كتحد الماء في صبه قد تزل فتقع فإذا هي مهلكة
ألم لك، ولكن متى كان ذلك واقعا في الصحراء لا غير؟ ومتى كان الإنسان
على مرأشه. وبين أهله وعشيرته، بل بين يدي الطبيب النطاسي — بمنجاة
من التهلكة؟

بغت بنا السيارة قارة حامد، وهي قارة بوضع تكثر فيه طرائق السيارات
ونذهب فيه مذاهب شتى، لكثرة المختلفين إليه، وليس به معالم تهدي إلى
الطريق كالتى تقوم بما يلى هذا الموضع إلى الواحات البحرية، ولذلك يحذر
السائقون، ويتوجسون منه. مخافة التيه فيه.

وكان الظلام قد ولى، وشاعت في السكون تباشير الصباح، وطفئ نوره
على النجوم، فغمرها بلا لانه كما يغمر الماء الفياض مباسم النوار، وتعرضت
في الحجاب الشرقى حمرة قانئة، تترامى في بعض حواشها غبرة خفيفة، كأنها
علائع الكهولة تخالط نضرة الشباب، أو اليأس العارض يلبس الأمل البسام
فأدرك أن مشرق الشمس قد دنا، وأن الاتفاق يتأهب لاستقبالها مشرقا متبها،
بعد أن احتجبت عنه عامة الليل.

وكان الهواء على حقيقته نسيما رقيقا، لا صوت له، ولا عنف فيه، تستقبله
فنجس منه نفحات رطبية لينة، تطيب بها النفس، ويسكن إليها الوجدان، ولكن
مراع سيارة في مسيرها جعل منه ريحا هائجة، ذات دوى وعنف، لا فيل لنا
بهم، ولا صبر لنا عليهما، فاعتصمنا بزجاج النوافذ، لسدهابه، إلا فرجاي سيارة
سكن عنها، لتحديد هواء السيارة، وإصلاح فساد، وما لبثت الغزالة أن

أطلت من وراء خدرها نقية الصفحة ، متبللة المحيا كأنها الدينار المتسوف .
فأنسد بمرآها ، وابتسمنا لها فرحين . ولم تكد تستوى على عرشها ، حتى أقيت
تنثر أشعتها الذهبية على أديم الصحراء ، وذوائب الربا والهجاء ، فبدأ كل شيء
يختال في غلالة حمراء زاهية ، كأنما حيكت من الوشي ، أو من خيوط الذهب
وكانت كلما علت صعودا في السماء ، تخفف من صبغها الأحمر الوهاج ، بمشرق
جذينا ، ويسطع نورها ، حتى صار باهرا أخاذا يكاد سناه يذهب بالأصفر .
وكانت خلال ذلك لا تنسى الكون . ولا تلهو بأصباغها عنه ، بل كانت به
مشغولة ، وإليه منصرفة ، تبادلته شرقا بشرق ، وإقبالا بإقبال ، وتخاصع عليه لغلالة
بعد الغلالة من نسج أنوارها ، وفي ألوان أصباغها ، تطوى هذه ، وتنشر تبت
فيأذاهما أبدا على توافق وحسن مشاكلة .

ارتفع النهار ، وأخذنا نحس فعل الهواء النقي واليقظة الباكرة ، فبدأ في
أجسامنا وإعياء ، فلم يكن بد من النوم نستحم فيه ، ونشدد عنده بعض السهر
والراحة ، ولكن أين منا النوم ؟ وهل من سبيل إليه الآن ، والسيارة لا تزال
منطلقة إلى طيتها ، ماضية على سننها في تصميم وإصرار ؟ وهي على ذلك لأنه
تهزنا هزا عنيفا ، تحتاج له أعضاءنا ، ولا نكاد نسلم معه من صدمه بعض
أجزائها ، أو دفعة هنا وهناك . غير أننا لظول مالفينا من السامة والنصب المصير
طويلا على هذه اليقظة الحامدة .

ويظهر أنني كنت أشد صاحبي تبرما بها ، وأقلهما احتمالا لها ، لذلك كنت
أسبغهما إلى التماس الخلاص منها ، فأغمضت جفني ، وأرسلت الجسم إلى راحته
لأبقى على تماسك أعضائه ، ولا أريد عضوا منه على غير الوضع الذي يؤثره
ويجد الراحة فيه ، وفعل صاحبي كما فعلت ، فغفونا غفوات قصارا ، إرارا لير
فيها إغيا با وحسوا ، يلم إذا أسهمت السيارة ، وبغفر إذا أدركها العذر . لكن
هذه الرقدة على اضطرابها وتقطعها قد أجدت علينا كثيرا ، بما بعثت في نفوسنا
من الرضا والانبساط ، وما أعادت إلها من المرح والنشاط ، إلا إننا مع كل
أوائك لم نكون نستطيع الحديث ، ولا نجد فيه شيئا من الإيناس والسهولة . وقد

مه. واختصرنا فيه ، وأزمناء حدوده لا يتعب ولا يستفيض ، ولم نكن نأخذ
فيه إلا الحاجة داعية ، أو غربة عابرة تنير التعليق عليها ، أو تمن لأحدنا ولا
يرب أن يتفرد برؤيتها ؛ ذلك لأن كل شيء في الصحراء صامت مطرق ، تغلب
عليه الجفوة والاحتجاز ، ويوحى بالخلوة إلى العسر ، والإصغاء إلى همسات
الخواطر وتدبر خلجات الوجدانات .

نعم فالصحراء عالم مهول ، لا يحيط به التخيل ، ولا يدرك الظن مدى اتساعه
مرحس ، لأحياة فيه ولا حركة ، تخفى الرياح في أرجائه رفيقة لينة ، أو تدوى
مروحة عاتية ، تثير الرمال والحصى الدقاق فإذا هي قذى يرمد العيون ، وإبر تخز
الوجه وشجا تضيق به الصدور ويعسر معه التنفس ، وسحاب كثيف يربد له
لأفق ، ويتقاصر منه مدى النظر ، وتترارى معالم الطريق ، ويتعرض السالك
لثبه والاعتساف ، أما التربة فجرداء مقفرة ، عليها رمال ثابتة أو منهارة ،
وحصاة دقاق أو كبار ، بعضها أغبر خالص ، وبعضها أغبر مشوب بسواد ،
كما أذكر كنه البار فلوحته ، وليس بها من النبات إلا قليل ، وهو على قلته حائل
مهول ، كأنه زغب أفراخ ، أو بقية الشعر في رأس الأصلع ، ومنه النامي في
غير فراهة ولا رواء ، أحوى اللون ، قليل الفروع ، ناضب الماء ، صغير
الأرهار ، حتى يتخلها ومضات كاسفة ، أو خرزات ترية ، أو شررا خامدا .
ويحدث قبل هذا كله نجاد مشرفة كالقلاع ، ويهاد هابطة كأنها التماريح بين
الأمواج العالية في البحر الضخم ، وآكام شاخمة لفحتها الشمس فاسود
ظاهرها ، وبدت كالعبد المتخشع ، أسدل شعره الطويل ، أو التفع بمسوحه السود
فنه هه الصحراء كما ترى - جافية قاسية ، تغلب عليها المهابة والعبوس ، ولكنها
مع ذلك لا تخلو من الجمال الساذج لاصناعة فيه ولا تكلف ، الجمال المؤثر ، الذي
يجعل عن الخشوع والنوقف والإجلال ، ويدع إلى الإذعان والتسليم والانجاء ،
ويوحى بالتجرد والإيمان بأسرار الغيب . تتابعت هذه المشاهد معادة مكرورة
تتبدل ، معجلة كأنها مناظر الخيالة ، أو خواطر النفس المتفكرة ، وكانت السيارة
تتبدل لا تسير على وثيرة واحدة لا اختلاف طيبة الأرض في مراحل الطريق

المنعددة، فهي هنا صلبة ذات جدد واستواء، وهما صلبة ذات ارتفاع وانخفاض
وفي مكان آخر لينة عليها رمال غير متماسكة، لذلك كانت السيارة تهتز حين
كالمتهتجر، وحيناً يقبل مقدمها على مؤخرها طرداً وعكساً، كالمقارب يتدثر برين
هبطات الموج، وتارة تمر مر السحاب، لانه كاد نحس لها حراكاً.

ثم بلغنا بخيرة الزراعة، وهي غرفة من الخشب، بمدرجة الطريق إلى يمين
الذهاب إلى الواحات البحرية، أقامتها وزارة الزراعة لبعض شأئها في الصحراء.
ثم استغنت عنها، وتركها مائة للمسافرين، فأصبحت أشهر معالم الطريق.
ومحطة الوحيد، ينزل المسافرون فيه، فيستجمون، ويحسبون تحت ظلاله حتم
من الطعام والشراب، وقد يبيتون فيه، إذا أدركهم الليل. نزلنا في البخيرة قرية
الساعة الثانية بعد الظهر، وقد حمى الجو، وراحت الريح تنفث مثل أنفاس
المحموم. فأوينا إليها بمحوردين، وذكرونا فيها الحضر: وحننا إليه، كأن طاك
غيبتنا عنه، وأصبح عهدنا به بعيداً. بسط لنا السائق نمتاً كان معه، فالتجنا
بجالسنا عليه بين أحضان البخيرة، سعداء فرحين، وأقبلنا على طومنا نطمع في
رغبة ولذة، كأنما كان شيئاً ممنوعاً، طال شوقنا إليه، وطلبنا أياه، فحنننا
ظفرنا به، نلتهمه الاتهاماً، وما كان من ذلك في قليل ولا كثير، فما كان إلا
طعاماً مألوفاً، وهكذا شأن كل شيء في الحياة، تختلف قيمته، ويتغير حكمها
عليه وشعورنا به، بحسب نسبه إلى غيره، حتى لقد يتوارد حكمان متضادان
على الشيء الواحد، ينسب إلى شيئين مختلفين.

ثم عدنا إلى السيارة الساعة الثالثة، وكان الهراء لا يزال حاراً كعبد،
ومضت السيارة في طريقها بين مشاهد كالتى رأينا قبل البخيرة، حتى أتيت البحر
وهو بقعة واسعة، يترأكب فيها الرمل طبقات بعضها فوق بعض، وترسم الريح
على سطحها تجاعيد متموجة، كالتى يصنعها النسيم إذا خطر على صفحة لمعبر،
فهى لذلك شبيهة بالبحر، وجديرة أن تسمى باسمه، والسائقون يخشون بحر
ويجمعون لعبوره كل ما أوتوا من براعة وحذق؛ لئلا يسوخ عجلهم في
الرمل؛ فلا يمكن خلاصها إلا بشق الأنفس. وقد كان سائقه لحسن حظ

بطاويل المران ، كثير الاختلاف إلى الواحات ، سريع التغير للسيارة ، لم يضطرب ، ولم يد عليه أثارة من تيب ، وتأثر بأبوابه ورباطة جأشه ، فاجترن البحر في طمأنينة وسلام .

ثم وصلنا إلى النقب ، وهو مكان وعري : بينه وبين الواحات البحرية نحو خمسة وثلاثين كيلومترا ، تكثر فيه النجود المختلفة الأشكال والألوان ، ما بين مستوى السطح ومتغضنه ، ومتحفز كأنه يريد أن يمتص ، وبأسط عطفية كالمشي ، للدفق ، ومنضام التجاليد كالندثر تصونا واحتجازا ، ومنها الأحوى ، والأبيض زهقه غيرة ، أو تخاطله زرقة زاهية ، كأنما ذرعه مسحوق زهر البنفسج ، أو كـ . القطيعة الزرقاء تمشي البلى فيها تتساقط الخلل من بعض أقطارها . وربما كان هذا النوع من النجود أشدها إثارة للانباء ، وقيدا للابصار : لغرابة منظره ، وبهاء ريقته في بعض مراضعه . ويتخلل هذه الجداد أودية ومسارب ، تمتد منها كتيبان كثيرة ، يترامى بعضها إلى مسافات بعيدة ، في كمال اتساق وحسن تنسيق ، كأنها صبر عظيمة من القمح ، تناولتها بالنسوية والتنظيم أيد صناع . وبين هذه الجداد والكتبان ينسرب الطريق ، وإنما لتضام من حوله حيناً حتى نكاد نحيط به ، وتأخذ المنافذ عليه ، فيتسلل من هنا وهناك في تعطف وانحدار ؛ ونحن تراجع عنه فجأة أو على التدرج : فيتسع أمامه المجال ، ويخلوله وجه الصحراء .

ثم لغنا العين المعلقة ، وهي عين قليلة التز أصلا في رأس تلعة مشرقة ، ولها سميت بالمعلقة لذلك ، يغن فيها الذباب ، ويلتف من حولها الأشجار . وضروب من الحتائش وبينها وبين الواحات البحرية نحو خمسة عشر كيلومترا وهي أول ما يصادف المسافر إليها من دلائل الحياة في الطريق ، منذ يفارق الأهرام .

وحرالى الساعة السادسة ، وصلنا إلى الواحات البحرية ، لانكاد نحس نياما وعناء هذا السفر الطويل ، ولا يكاد تبدو علينا من آثاره سوى غيرة ميز ، عن ملابسنا وأهداب أعيننا ، حتى إذا تمضنا هذه الغيرة ، وأصلحنا من

شأننا وشأن ثيابنا ، عدنا كما كنا قبل الرحلة . ولعل رقة الهواء ، وفرحة الوصول ، وانصرافنا عن التفكير في أنفسنا إلى النظر فيما حولنا ، كل أولئك أنسابنا لعب والكلال إلى حين ، فلما أويئنا إلى مضاجعنا وأخذنا إلى النوم ، وجدنا الإعياء والفتور .

وبعد ، فالوحدات البحرية مركز من مراكز الإدارة ، تابع لمحافظة الصحراء الغربية ، حاضرتها البايطة ويتبعها القصر ، وهي مجاورة لها ، وتكاد تكون بلداً واحداً ، ومنديشة ، وبينها وبين البايطة نحو ثمانية كيلو مترات ، والبيو وبينها وبين منديشة نحو كيلو متر واحد ، ثم القرافة ، وبينها وبين البايطة نحو مائتي كيلو متر .

وفي البايطة من فروع الوزارات والمصالح — المركز ، وبضطلع أعمال الشرطة والقضاء الأهلي ، والمحكمة الشرعية ، وتفتيش الصحة ، والمدرسة الأولية وهي تابعة لمصلحة الحدود ، ومكتب البرق غير السلكي ، ومكتب البريد ، وفرع قسم البساتين ، ويقوم على اصطناع ألوان من الأشربة والرب ، وراعصر الزيتون ، وحفظ التمر في صناديق مختلفة الوزن والحجم ، بعد تنظيفه وتنميته ، ويجاهد آفات الزراعة ، ويصد غارة الرمال على الزروع ، ونحو ذلك . ويتعلم في المدرسة نهاراً ٨٤ طفلاً ، بينهم خمس بنات ، وليلاً ٦٥ عاملاً ، تتفاوت أعمارهم تفاوتاً كبيراً .

ويعيش الموظفون هنالك إخواناً متوادين ، كسائر الموظفين في جهات المنقطعة النائية ، تؤلف بينهم أسباب الحياة المحدودة الهادئة ، الحالية من دلاهي المدن وشواغلها ، وتجعل منهم أسرة واحدة لا تفاوت بين أعضائها ولا تميز . تراهم إذا قدم المساء مجتمعين في ناديهم يتلمنون بالسمر ، أو القراءة ، أو اللعب أو الاستماع للذياع .

أما سائر بلاد المركز ، فلايس بها من فروع الحكومة سوى مدرسة مصلحة الحدود الأولية بمنديشة ، ويتعلم بها نهاراً ٦٥ طفلاً ، بينهم بنت واحدة ، هي بنت رئيس المدرسة ، وليلاً ٤٩ عاملاً ، وسوى صيدلية إسعاف بامرارة .

ينزل أمرها ممرض ، وفصل دراسي واحد أنشئ فيها العام الماضي ، وجعل تابعاً لمدرسة الباطني ، يتعلم فيه ٢٧ طفلاً ، ولعله في تاريخ التعليم هو الفصل الوحيد الذي يفصل بينه وبين مدرسته نحو مائتي كيلو متر

وجهرة الأهليين في هذه البلاد فقيرة رقيقة الحال ، ألوانهم كاسفة ، وأجسامهم ضامرة ، يقل فيهم البدين والمائل إلى البدانة . ولقد ترى الغلام تحسبه ابن ست أو سبع ، وهي في الحقيقة ابن ثلاث عشرة أو يزيد ، وأكثرهم حفاة لا يتخذون لباسهم من نسج القطن الأبيض أو المخطط ، ويضعون الطواقي على رؤوسهم ، سرا ، عامتهم وخاصتهم ، إلا في يوم الزينة فياتفع الخاصة بالأردية ويضعون لطرايش المغربية ، ومنهم من يلبس الجبة والطيأسان . وليس فيهم من تجاوز في تعليمه حد الدراسة الأولية . ويكثر بينهم الطلاق والزواج لغير داعية حافزة أو لغير داعية البتة سوى الإلف والرغبة الفاشية في تغيير المرأة . وقل مع ذلك أن يزر نزع بين المرء وزوجه بسبب الطلاق ؛ ولعل مرد ذلك إلى أن الناس هناك يعيشون عيشة لا تزال في جهاتها قريبة من الفطرة ، خالية من تكاليف الحضارة وأعباء الحياة المترفة الكثيرة المطالب .

وتلبس النساء جلابيب موجهة ، أو سوداء مصمتة ، معظمها مطرز بخيوط الحرير الملونة ، ويضربن بالخر على رؤوسهن ، دون أن تشد عليها العصائب أو المادب ، ويتحاین بالدمالج ، والخلاخيل والخزائم . ويندر أن تحتذى الفتاة قبل أن تتزوج . ولا تجهز العروس من مهرها ، بل يستولى وليها عليه ، ويتولى العريس كسوتها ، وإعداد الفراش لها ، وهو حصيرة ولحفاف ، وأقل المهر خمسون قرشاً ، ولا يزيد أكثره على خمسة جنيهات إلا نادراً ، وإذا كان يوم التأسوعاء ولم يكن الرجل قد بنى زوجته حمل إليها هدية (البصباصة) ، وهي أداة من جريد كائنها فقص في رأس جريدة ، يوضع فيها ديك رومي حي ، أو زوج حمام ، ويعتس الشاي والسكر ، ويبسط عليها شقة من نسيج ، تفصلها العروس ثوباً لها ، ثم يحمل العريس البصباصة ، ويسير في موكب من لداته وذوى قريبه ، وأصدقاء

أسرته ، يتقدمهم الزمار والطبال ، حتى إذا دخلوا منزل العروس قدم إليها العريس هديته يبدأ بيد .

وقبل ليلة الزفاف بأسبوع ، يهدى إليها كذلك قدرا من القمح والأرز والسكر والشاي ، يحمله هذه المرة على حمار ، في مركب كهوكب البصاصة . وتقام حفلات الرقص في منزل العروسين منذ هذه الليلة إلى ليلة الزفاف ، فيجتمع الرجال هنا وهناك ، وتنهض الفتيات بين أيديهم للرقص على التتابع ، فرادى أو منى . وفيهن العروس نفسها . تقف الراقصة وبين يديها عصا ، فتركده ، وتميل عليها بعض الميل . ثم ترقص رقصة العجز على نقرات الطبل ، ونغمات الصليبوب . وإذا كان أصيل يوم الزفاف حملت العروس إلى بعائها على جمل أو هودج ، ومعها حاشية من قريباتها وأترابها إن كانت من الطبقة الراقية ، والإحبات على حصان ، يركب معها أحد أفرائها ، وقد شد كلاهما إلى الآخر بحبل لا ينش حتى يبلغ الموكب منزل العريس . وبعد ذلك العروسان بالمنزل سبعة أيام من ذلك ، تسمى عندهم أيام الحجة .

ولأهل الواحات ولع بالشاي عظيم . ربما لا يعدله فيه طعام أو شراب : لذلك فهم لا يصبرون على تركه إلا قليلا من النهار ، ولا يكاد يشغلهم عنه شائن . بل أنهم لا يطيقون أعمالهم ، ولا يستطيعون المضى في معاناتها إلا إذا استروا حاجتهم منه ، وهم يشربونه ست مرات في اليوم ، ويتقدمه في كل مرة بلاع من طعام ، وقد يضعون عليه حب الفول السوداني المحمص المقشور ، كما وضع البنديق على القرية .

ولو أن أهل الواحات يشربون الشاي من نوع جيد ، ولا يسرفون في إغلائه لأن خطبه وخفت مضرته ، لكنهم يضعون على القليل من الماء مبرو على مثله من الشاي ، ويندر مع ذلك أن يكون من صنف جيد ، ثم يخلوه ثلاث مرات ، يكون في أولها قليل من السكر جدا ، حتى ما يكاد يسيبه من لأعهد له بشربه ، وفي الثانية يزيدون سكره ، ويضعون عليه النناع ، فيحف

مرارته وتطيب رائحته . وفي البالطة يكون أحلى طعما ، وأرق قواما ، وأصفى لونا ، وينشدون في ذلك .

أول دور شاي مر ثاني دور نعناع يسر

ثالث دور يزيد حلاه

ولو رأيتمهم وقد اجتمعوا لإعداد الشاي وشربه ، لرأيت من أمارات الإقبال والجد والتزام الطريقة ، ما يدل على أن هذه العادة قد تمكنت منهم تمكنا شديدا ، حتى أصبحت ذات تقاليد وأوضاع مرعية الحدود . تراهم جالسين حول الطبلية ، وقد جلس سائهمم الترفصاء ، يستوقد النار ، ويضع عليها الإبريق ، وينظم أكوابه الصغيرة على الطبلية ، فإذا تم إعداد الشاي تناول الإبريق ، وأقبل على الأكواب يسكب في كل منها قرابة نصفه ، ثم يعود ويكمل ملاءها على الترتيب ، وإنه في سكب الشاي ليبدأ ويلسل الإبريق إلى حافة الكوب ، ثم يرفعه صعدا إلى حد معين اعتادت يده الوصول إليه ، غير لا يتكلفه ولا يتحرى الوصول إليه ، ثم يعرد فيهبط بالإبريق فجأة حتى يرجع إلى وضعه أول مابداً السكب ، فيرغى الشاي حتى تكاد الرغرة تشغل نحو ربع الكوب .

وهم يعالجون من الصناعات — الزراعة ، ونسج الحصر ، وعمل مكانس الميف ، وأوان من الفخار ، ومقاطف ونحوها من الخوص . وليس لديهم من آلات الزراعة سوى الدالية . ويعتمد الملاك في زراعة أرضهم ولو قليلة على أحرار يسمونهم الخدم . وقل أن يكون فرق بين بزة الخادم والخدم . وللخدم ثلث الحاصلات يختص الواحد به ، ويشتركون فيه إذا تعددوا إلا التمر فللخادم كاسة من كل نخلة أبرها وقام بخدمة لها . ويزرعون من الفاكهة — النخل ، والكرم ، والتين ، والرمان ، والنفاح ، والخوخ ، والبرتقال ، واليوسفي ، والمشمش ، والليمون الحامض ، والخلو ، ومن غير الفاكهة — القمح ، والأرز ، والعدس ، والزيثون ، وبعض الخضر .

ولغتهم في جملة شبيهة بعامية العرب بواى البيل على اختلاف في بعض

الكلمات، وفي المهجة وطريقة الأدا، فن الكلمات التي لا أعرف لها نظيرا في غير لغتهم كلمة (راك) بمعنى ليك، و (إياه) بمعنى لا الجوابية، و (الدرابة) بمعنى الباب، و (الخطية) بمعنى الحقل.

ومن خصائص لهجتهم تفخيم الميم المفتوحة مع إشمائها الضم، إداولها حرف علة كثمانية، و (ميه) بمعنى ماء، ومنها إبدال الجيم زايا (كروز) في زوج و (ززار) في جزار، وإبدال الشين سينا (كسعر) في شعر. ذلك إلى شيوع التصغير، وسرعة الأداء.

والمذهب الشائع بينهم، هو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه. أما مساكنهم فكان أكثر مساكن قرى الوادى ودساكره، فاسدة النظام، دانية السقف، قليلة النوافذ، راكدة الهواء، حائلة النور، وقوامها اللبن، والرمل، وجذوع النخل، وجريده، ويمتد بينها مسارب وعرة الأديم، ضيقة المجال، كثيرة الالتواء.

على النجدي ناصف

الحنين !

لمؤستاذ فابر الممروسي

« للنفس الباطلة عالم خاص من الاحساس ،
فأنا ينبض بنشوة الاماني ، وأنا يطفح بمرارة
الحرمان . . . وهذه القصيدة صورة نفسية محبة .
تيقظ صاحبها من سكرة شقائه ، فأحس دنيا من
الاحلام ، بشع نورها في اعمائه ، ولكن بينه وبين
دنياه شامساً من الظلام ، وقوداً من الاغلال . »

أحنّ إلى الدنيا التي في خوّاعري
أحنّ إليها مثل ماحنّ طائر
أحنّ إليها والحنين يخفّ بي
أحنّ إليها ، وهي تنأى بعيدة
تظالني خلف الغيوب فتجلى
رأها أتاها العفو بعد احتجابها
وأومت لقلبي من خلال غيوها
بهمّ بها الحب الرفيع إلى المن

مقطّرة الأحلام ، ربّ المناظر
شجى ، إلى إلف من الطير نافر
إلى ملاء عال من الكون باهر
على أنها ملبوسة في سرايزي
لحسّ ، ولكن لا تراها نواظري
طويلاً ، فقرّت من سجون المقادر
فأصغى ، وحياها تحية شاعر
كانّ بها للحب رقية ساحر !

أحنّ إلى دنيا من النور طيقها
ظلال من الأحلام نامت بخاطري
ودنيا ، يحسّ القلب في نبضاتها
أحس على بعد النوى نغماتها
نطل على الدنيا بأنة ثاكل
إذا عزفت عني بكتها عواظي

يمسّ اختيلاً في رياض عواظي
وسر من الالهام ملّ مشاعري
ديباً ندبا ، كالندى في الأزاهر
تطوفُ بنفسى ذابحات مرأري
وتنأى عن الدنيا بغفوة ساهر
وإن قربت مني ، بكت مرّ حاضري

فيا لك من دنيا أخاف اقترابها وإن كنت فيها راغبا غير صابر
وما كنت فيها زاهدا غير أنني نزلت على حكم الجدود العواثر

أحن إلى دنيا الطلاقة والهوى بعيدا عن الدنيا وشى المخاطر
أصعد أنفاسى ربوة جنة يطوف بأعلاها عيق المجامر
أدهده قلبى فى حماها ، وأثنى عليها ، إذا ما حطمتنى غوابرى
وأوقظ أحلامى بدف ، حانها وأنشد لحن الحب فى كل سامر
أعب نعيم العيش من نفس شاعر وأنهل صفو الخلد من قلب طاهر
فمن لى على الأيام من هذه المنى ؟ ومن لى على الدنيا بفرحة ظافر ؟
أرأنى مفجوعا ، فمن يأتى بها أهبه حياق طائعا .. وما ترى
أعيش على الاختار من كل جانب فيا قلب مهلا إن قدمت ، وحاذر !!

أحن إلى الدنيا التى طال فقدؤها بماض أليم من حياق عار
فيا لك من ماض قطعت ظلامه أصعد ما منى من جروح غوائر
فقدت على ضراء الشباب مناصرى وأبصرت فى ظل الكهولة ناصرى
وكفنت حظى وهو فى ميعه الصبا وشيعته بالنوح فى لحن خاطرى
فها توالى الدنيا ، فقد ضاع عمرها وعمرى ، وماذا بعد عمر مغادرى
فيا لهفى أو ينتضى العمر كله ذبيحا بأنفاسى كهمرى المجادر

نسجت كيان العيش من ذوب مهجتى ودمت هدوء الصبر رغم معاذرى
على أننى ما كنت أحتمل الانسى عفيفا ، ولكن غارقا فى جرائرى !!
جرائر من يعدو من النار تكتموى حشاه ، فينديها بنشوة فاجر !!

أحن إلى دنيا خلودى ومتعتى ومسرحة آمالى ونجوى خواطرى
إذا ما بدا منها شعاع لمحت خفت لها شرقا كحفقة طائر

تدبّ بأوصالي مكبّة الخُطى كانّ بأوصالي ظلامَ المقابر
وتسرى بتحدائي سرى الروح شفه لدى النزع كرب، شق جوف الحناجر
فذلك يادنيا؟ أحجبت في الدّجى تصلين ! أم كفت تحت الدياجر
سلكت فجّاج الأرض نحوك ظمناً وأقبلت أستجدي بلهفة حائر
وفشت أحناء الوجود معزياً رجائي، وآمالى، وحالى، وغابرى

تعالى ! فما أبقى جفأوك في دمي صُباة روح أبتغى لمصائري
تعالى : على رغبي ورغمتك إننى وإياك صرعى من طعان البواتر
أأقسر؟ إذن متّعت فيك ببغيتي أأجفو؟ إذن لافيت فيك مسامرى
فيالى من الانكار قسوة جاحداً ويالى من الاحساس خطرة فاتر؟
سأبقى على الدنيا بلهفة حائر أحنّ إلى الدنيا التى فى خواطرى

قابر العمروسى

حلم النيل

لدرّستان سبّر قطب

هازج بالنشيد تلو النشيد وهو يمضى إلى مداه البعيد
ذكريات القرون قد صاغها النيل نشيداً ، فياله من نشيد !
ينظم السحر والكهانة والفن ، ويشدو بكل هذا القصيد
منذ فجر التاريخ لم يتبدل لحنه العذب من قديم جديد

حالم بالرجاء عندك يانيل سعيد بحملك المعهود
ينبت الزهر فى خطك بهيجاً ذاك حلم تأويله فى الورود

سبّر قطب

حلوان

تحقيق وتمحيص

للمؤلف عبد العظيم علي قناوي

في التاريخ العربي جاهليه وإسلاميه كثير من النقص يرويه رواة ثقات ، لهم في النفوس منزلة منزهة عن الشك ، ولأخبارهم ثقة قلما يلحقها زيف ، وهم يروون تلك الأقاصيص على أنها حقائق ثابتة ، لا يرتفع إلى نقضها برهان ، لا يمتزج بها بهتان ، فإذا ما شكوا في صحتها لم يفعلوا ما يفعل المؤرخ الباحث ، فينفروا زيفها ، وينفوا جوهرها من زيفها ، بل حكوها بميتها وشينها متصورين أنها بما يصح أن تتقبله الأقدام والعقول ، غافلين عن أنها من الأوهام والخيال ، ولو أنهم نزعوا عنها غشاها الممويه ، وكشفوا عن حقيقتها الخادع من الأسانيد ، لبقى للأدب كنزه ونبي عن التاريخ زيفه ، أما تركهم إياها مؤرجحة بين الشك واليقين ، والصدق والمين ، يقرها قارئ ويدحضها آخر ، فبليلة للأفكار ، واضطراب في التاريخ وكلاهما ينأى عنهما المؤرخ الثبت .

وأنا لذلك أجروا على أن أرسم كل ما جاء على هذا النحو بسمه القصة . وأصفه بصفة الخرافة ، متحرزاً من اقتفاء آثار هؤلاء الفاصين ، متحلاً من أنبائهم مهما كانت مراتبهم كريمة عالية في التاريخ الاسلامي ، ولن أعاد بأسانيدهم إن كانت الأخبار ذات أسانيد وإن تسامت مكاتبا السندية لمجافاتها للروح العلمي البحث . وبعدها عما يستلزمه البحث العقلي الحر ؛ الذي لا يتقيد بالنصوص التاريخية ؛ ولا يتخرج من النص في الأسانيد المتصل ، حينما ترتضيا الأفكار والنفوس ، ولا تخضع لها النواميس ، فالحكم المرضي الحكومة هو الوازع العقلي لا الخضوع السندي ، لا سيما وجل هاتيك الاختيار مما لا يتصل بصميم الدين من قرب أو بعد ، ولا يحيط من مكانة الأدب العربي بين آداب الأمم الأخرى ، ربما كان وضع الاخبار في وضعها الحقيقي بوضعها بالأسطورة أو الأقصوصة نافيا عن الأدب العربي ما يلصقونه به من نقص القصة فيه ، ولو

ولو أن هذه الأحاديث التي نعنيها تصل بالدين أو تمت إلى الأدب ما تأثمتنا من بحثها وتمحيصها ولا تخرجنا من نقدها وتحقيتها ، متى كان اعتمادها على غير القرآن الكريم أو الحديث الصحيح ، لأن هذين الاثرين لم يخط فيهما حرف إلا والعقل يزيده والفكر الناقب يعاضده .

ويقيني أن هذه الأخبار التي سأعرض لها ، وأناقش نوعين منها أحدهما ديني تكاد تقرؤه في أصدق كتب السيرة خبرا ، وأوثقها نبأ ، وأقربها من حوادثه زما ، والآخر أدبي يرويه غير كتاب من كتب الأدب المطولة المحققة وهي إن شكت في بعضه ؛ فإن شكها لم يدفعها إلى ترجيحه الوجهة الحقيقية . يقيني أنها وضعت لأحد غرضين لا مناص من كليهما أو أحدهما ؛ إما لإدخال الروعة في النفوس والرهبة في القلوب ، وتبعث الأكار والاعظام لما يتصل به هذه الروايات وتستقبلها جمهرة القارئین مطمئين إليها ، ويتناولها حذاق المؤرخين غير معترضين عليها ، وإما ليسمر بها المسامرون ، ويروى بها الراوون فيسقم شأن صاحبها ويفشو أمره . ويملا آفاق الأدب بذكره ويصبح وهو بآباده وفريده عصره ؛ لما في تلك الأحاديث من غرابة بله استحالة ، ولما يضافونه عليها من زخرف وصناعة يروعان النفس ويمتعان الحس .



إلى القراء ما يرويه غير واحد من رجال السيرة عن الأخبار بيعة النبي قبل سطوع نجمه ، وبزوغ شمس بحقب طويلة ، وكأني بهؤلاء الرواة لم يقنعهم أن أخبر الله بنبرة الرسول في الإنجيل ، ولم يكفهم أن بشر به الله قبل على لسان عيسى ، ودون جلال هذه البشرى كل مقال ، فرغموا أن أحدا ملوك المؤمنين ربيعة ابن نصر رأى رؤيا حالته وفضع بها ، فلم يدع من كهان زمانه وعائفيه وسحرته ومنحمة إلا من استكشفه سرها ، وأستوضحه أمرها فعجزوا عما انتدبهم له وأخبره أحدهم أنه إن أراد لرؤياه تأويلا فعليه بسطيح^(١) أو شق^(٢) فعندهما

(١) - سطيح كما يقول ابن هشام في سيرته هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ، وسمى سطيجا

لأن مقاصله كانت ليلة قطوى كما يطوى الحصر .

(٢) شق هو ابن صعب بن بشكر بن رهم . وسمى شقا لانه كان شق الانسان فله يد واحدة ورجل

واحدة وعين واحدة .

اليقين ، فيستقدمهما متعاضدين ، ولا يخبرهما بروياه ، بل يستوحيهما بأهائيهما
فيقول سطيح « رأيت حممة ^(١) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهممة
فأكلت منها كل ذات جمجمة » فقال الملك : ما أخطأت منها يا سطيح فما أولها ؟
فيقول « أحلف بما بين الحرمين ^(٢) من جنس لتبهطن أرضكم الحبش ، إليكم ما
ما بين آيين إلى جرش » فيقول الملك ؟ إن هذا لفظ مرجع ، فتي هو كائن ؟
أو في زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين من
السنين قال : أفيدوم ذلك من ماكم أم ينتقطع ؟ قال بل ينتقطع بوضع وسبعين
من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هارين ، قال : ومن يلى ذلك من قتلهم ؟
وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم بن ذى وزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
أحدا منهم باليمن ، : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينتقطع ؟ قال بل ينتقطع . قال
ومن يقطعه ؟ قال : بنى زكى يأتيه الوحي من قبل العلى ، قال : ومن هذا النبى ؟
قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى
آخر الدهر . قال : وهل للدهر آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون
والآخرون يسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون ، قال : أحق ما تخبرنى ؟
قال : نعم والشفق والفسق ، والفاق إذا اتسق إن ما أبنائك به لحق ^(٣) . ويقدم
شق فيخبره الخبر ويحمر بينهما حديث . لا يخرج عن حديث صاحبه إلا فى بعض
الالفاظ أما المعنى فتمتق متسق .

الحديث ظاهر الوضع والاختلاق . اضع الكذب والاختراع ، فأنى لذلك
السكاهن (المزعوم) أن يعلم ما تكنه الصم أو بني به ويستكشف ما فى السرائر
ويحدث عنه ؟ والله لا يطلع على غيبه أحدا . لا من ارتضى من رسول قال تعالى
« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول ، فإن يسلك من

(١) الحممة - قطعة الدار - وظلمة يعنى من ناحية البحر ، وأرض تهممة الأرض المنصوبة إلى
البحر كذلك .

(٢) الحرة الأرض الصلبة وهى كثيرة بالجزيرة وآيين وجرش مكانان باليمن

(٣) الا-طورة منقول من كتاب سيرة ابن هشام مع تغيير قليل اقتضاء الرغبة فى إنجازها .

بن يديه ومن خلفه رصداً^(١) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، والله زهير بن أبي سلمى إذ يقول نافضاً تلك الأساطير :

وأعلم علم اليوم والامس قبله . ولكنني عن علم ما في غد عمي
ورسول الله قد بشر به ويعلم هذا التبشير الأحبار والرهبان . وهذا الذي
يجهله الملك — فيسأل عنه أو يتجاهله ولا أظنه متجاهلاً . كالبعث والنشور
والحساب على النقيير والقطمير ، والثواب والعقاب والجنة والمار — كل أولئك
جاءت به رسول ، وليس أهل الأيمن عنهم بعبيدين فقيهم اليهودية ، وفيهم النصرانية ونسبت
حروب بسبب الرغبة في غلبة إحدى الديانتين على الأخرى : وعلى ذلك فلدى
المحدث علم ما عنه يسأل . ثم ما هذا القسم الذي لا نعرف نسجه ونظمه على هذا
المنوال إلا في القرآن الكريم ، إنه وحده لدليل الأسطورة وحجة الاختلاف
وإن الدعوة المحمدية لني غنى أى غنى عن هذا التبشير القائم على الأساطير .

٢

وهذا مثل ثان لا تجد ثقة من رواة السير إلا حدث به ورواه . قالوا :
إن المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أجمعوا أمرهم على الاجتماع
بدا . الندوة^(٢) ليتساروا ويتشاوروا فيما يدفعون به الخطب الحازب الذي يوشك
أن يقضى على دين الآباء ، فعقدوا النية ووطدوا العزم على صده بكل وسيلة
موانية مهما كلفهم من جليل خطير ، وفي الموعد الذي حددوه اعترضهم على
باب الندوة شيخ ذو هيئة . وله جلال وهبة ، يلبس كساء من الخبز ، فسألوه : من
الشيخ ؟ فأجاب : نجدى تسامع بالأمر الذى دبوا ، ويهمه ما يهمهم ، فأقبل
يسمع ويرى ، ولعله يكون له فى أمرهم الذى كرههم بعض رأى . فاطمأنوا
إليه . وأدخلوه معهم ، وصار فيهم كأنهم وقايه وإياه الأمر على شتى وجوهه

(١) الرصد الراصدون للشياطين بطردوسهم عن الانبياء خشية أن يوسوسوا لهم ويكشعوا
ما أوحى به الله .

(٢) دار الندوة هي دار قصى بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضى خطير من الأمور إلا بها فأسسها ناسية
الأحزاب الآن

فكان أسهم رأيا ، وأبعدهم نظرا ، وأصدقهم حكما ، يناقش آراءهم ، حتى انتهى القول إلى أني جهل ، وأفر النجدي رأيه ، وعززه بحجته ، ودعا إلى تفضيله : لنسلم لهم ديانتهم ، وتحفظ كرامتهم .

خبر واضح لا لبس فيه ولا غموض ، ولكن الغريب فيه الدخيل عليه أن المؤرخين يدعون أن الشيخ النجدي إبليس تزيا بزى أبناء نجد ، وتصور بصورتهم ، ولا أدري من أين جا هم هذا ؟ وهو ما لم يرد به نص في كتاب الله ولا في كلام رسوله : نعم إن الرواية تنسب في بعض الكتب إلى حبر قریش وعالمها عبد الله بن العباس رضى الله عنه ، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون ادعاء عليه استقيم الرواية ، وتنهض قوة معززة ، فمن أصدق من حبر قریش خبرا ؟ أو لعله — إن صح أن الرواية له — استنباط منه ؛ لأنه حين الهجرة كان غلاما لا تتجاوز سنه بضعة سنوات ، ولا أدري لماذا لا يكون الرجل نجديا حقيقة لا تصورا ؟ لاسيما أنه قد علل بعض المؤرخين من رواة حديث الهجرة تخير إبليس صورة النجد بأن النجديين كانوا ينقمون على صاحب الدعوة الجديدة ، على حين كان التهاميون هوهم مع رسول الله ، فما الغريب في أن يفدأ أحد ساداتهم يتحسس أخبار قریش ؟ وما يكون لعدوهم المشترك ، ويشار كهم في حقهم على الرسول إيتارا لدين أسلامهم ولو أن المؤتمرين رأوا في عمل الرجل أو حديثه ما يبعث شكاً أو يثير ريبا ما قبلوه بينهم ، خصوصا متى عرفنا أن الانتظام في دار الندوة شروطا ، وليس بعيدا أن بعلم ما استقر عليه رأى صناديد قریش وهو في نجد ، فأمر رسول الله قد ملا شبه الجزيرة العربية ، وجاوزه إلى البلاد المتاخمة والأمم المجاورة ؛ لأن الهجرة لم تتم إلا بعد البعثة بثلاث عشرة سنة ، وهجرة أصحابه إلى المدينة لابد أن تحفز القرشيين إلى صدها حتى لا يستنصروهم عليهم ، ثم يتألبوا حملة فيقهرهم على خلع أديان آبائهم ، وهذا أبو بكر صديق الرسول ينتظر بفارغ صبر الع أمل أمر الله رسوله بالهجرة ، فما لا يسور أن يمكن أولئك الرصد للرسول سبيل الهجرة ذلولا لينشر دينه في أنحاء العالم ثم يغزوهم آخر الأمر وفاضل القول أن أولئك المؤرخين الذين يتحرون حقيقة النجدي فيجدونه إبليس ، لا يتفقون على عدد المؤتمرين ولا على أسمائهم ، فلو أنهم عرفوا أشخاص المؤتمرين معرفة علم و يقين لحق لهم أن يكسفوا

حجة المحولة في تلك الأخبار ، ولكن مالا يساغ أن يتركوا ناحية يجب أن
 تكون مروفة لأن معرفتها ميسورة ، ويبحثوا ناحية مجحولة وتبينها عسير .
 كل هذه العوامل مجتمعة ومتفرقة تجعلني أوقن بأن المثل الأول أسطورة
 ، وبأن الدخيل في المثل الثاني نجدي قح أراد أن يحرز شرفا بمساهمة في
 كبل بمن يريد أن يقب علىهم أديانهم ، وأى شرف ذلك الذي بتغيه بزيادة
 دين آتية وأجداده ، ولا يغض من قيسة مقصده أن يتطفل على قوم لا تجمعهم
 آصرة ، ولا تنظمهم وإياهم صلة ، فحسبه وحدة الغرض

واحال الدافع إلى تلك الرواية التي قد يتصورها أحد المؤرخين - عن عقيدة -
 وبها فتناقلها الألسن ، فقيدوها بطون الكتب - هو قصد المثلثين تدييرين .
 مرتبة بين إرادتين . إرادة المشركين الخلاص من رسول الله وعلى رأسهم
 من يدبر أمرهم ، ويدبر كيدهم ؛ وإرادة الله الخلاص لنيه بما كادوا ، وإفساد
 ديوانهم . شيطانهم ، « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو
 يحبسوك ويؤمرون ويؤمرون ويؤمرون بالله خير الماكرين » .

وسكن الأمر لا يستأهل كل هذا ؛ فالقرشيون لا يفتشون يحاربون رسول
 سرا وجهرا ويقفون له كل مرصد ، ويقطعون عليه كل مفازة ، وهم يريدون
 قتله صل ، فكان اجتماعهم ، وكان تشاورهم ، وكان أبو جهل صاحب رأيهم
 من أحدا ، ولو أن إبليس كان بينهم لدعاهم إلى أقوم الرأي دون تقلب
 فكري ، ولكن الشأن كان غير ذلك .

ولأن لم بأن أن تتبين - نحن رجال الدين واللغة - بعد هذا التحليل أن
 السيرة جديرة بالتهذيب والصقل ، أو على اليسير الأدنى ، بالتعليق
 منج : حتى تنفي اللبس عن كل ما يمت إلى هذا الدين القويم بسبب قريب

وفي مقال آخر أعرض بعض أحاديث الأدب التي يحسن أن تُعد قصصا
 لاجتماع عليية .

اقترح

للمحرموم الاستاذ احمد الاسكندري بك

« مقدم إلى حضرات أعضاء المؤتمر الطبي العربي
المنعقد بغداد في شهر فبراير سنة ١٩٣٨ يمرض عليهم
فيه نموذجاً من تسميته المصطلحات الكيميائية بأسماء
عربية ، تنشر في هذا العدد بمناسبة احتفال مجمع عزاد
الاول باللغة العربية بتأنيده منذ قريب ، ثم لمناسبة قرب
احتفال المؤتمر الطبي العربي في القاهرة في أيام عيد
الاضحى القادم بالقاهرة »

حضرات السادة الأجلاء .

شرقي بجمع اللغة العربية المالكي المصري من قبل أن أنرب عنه في المؤتمر
الطبي التاسع الذي انعقد بالقاهرة في ديسمبر من سنة ١٩٣٦ ، وشرقي الآن
وحضرة زميلي الفاضل الأديب الأستاذ علي الجارم بك أن تنوب عني في المؤتمر
العاشر المنعقد في دار السلام بغداد حرسها الله .

ويسرني وحضرة زميلي الجليل أن نبلغ مؤتمركم الموقر تحية لجمع طلبة
ودعواته المخلصة إلى الله أن يكلل أعمالكم بالنجاح . وأن يرفع على أيديكم
شأن العربية حتى تعيد سيرتها الأولى فتعود لغة العلم والآداب والحكمة
والاجتماع .

سادتي الأجلاء :

كنت قد شرحت لحضرات أعضاء المؤتمر التاسع خطة محمد في خدمة
العربية من أنه أثر البداية بتطهير لغة التدريس والتأليف من "دراة" "معد"
في التعليمين الابتدائي والثانوي توخيا لتربية ملكة العربية الفصحى ليقف
نفوس الناشئين وهم نشدة المجد المزمحل وعدة الاتحاد المستقبل . وما كان يشر
البداية بخدمة هذين التعليمين ليصرفنا عن تهيئة العتاد لخدمته بتعليم

نصيرنا خلال دورات مجملها احسن قرارات كثيرة في صوغ أبنية الحكم
فيه رجحنا فيها رأى بعض أئمة اللغة على رأى الآخر : ليتسع لسا ميدان
الاستناق والنسب ، فيتسع أماما مجال الوضع ، وتتشعب المناحي الصالحة
اصطلاحات علوم الطبيعة والكيمياء والأحياء والطب وبخاصة المادة الطبية
التي تغفل فيها مركبات الكيمياء .

ويسرنى أن أبلغ حضراتكم أننا قد كدنا نتمم تنقية التعليم من شوائب
الجمجمة . وما احتجنا إلى استعمال الأعجمية إلا في وضع كلمات تعد على الأصابع
نصب لها بعضنا : إذ كانت لائحة المجمع تقضى ألا نلجأ إلى استعمال اللفظ
الجمجمة إلا للضرورة القصوى خشية أن تطفئ لغة العلم بأعجميتها الغالبة وهي
سبع عشرات الألوف على لغة الأدب وخاصة بعد توميم التعليم ، فيستغلق
على سلاسلنا بعد حين فهم القرآن والحديث وتراث أربعة عشر قرنا من كتب
شريعة والآداب والحكمة والإلهيات والرياضيات ، لا قدر الله .

أقول (قد كدنا نتمم تنقية التعليم من شوائب العجمة) لأننا قد شارفنا
نتم اصطلاحات المراد المقررة في التعليم الثانوى من علم الإحياء والطبيعة
وبرياضة والجغرافية والتاريخ والفنون الجميلة . ولكننا لم نقنح العقبة بعد ، عقبة
الكيمياء . لا لأن اللغة العربية تعجز عن افتتاحها كما يزعم بعض المعوقين ،
ولأن عناصرها ومركباتها ورموزها تحتاج إلى مواضعة واصطلاح بين
معلمي الشعب الناطقين بالضاد ، وتحتاج إلى التدرج في استعمالها بأن تدخل في
تعليم الثانوى وملحقاتها أولا ، ثم في التعليم العالى ثانيا .

وأقول (التعليم الثانوى وملحقاته) لأن التعليم الثانوى تدرس فيه جميع
مرد عدا اللغات الأجنبية باللغة العربية ، ويشاركون في هذا النظام عشرات
آلاف من طلبة المعاهد الأزهرية وطلبة مدارس المعلمين الأولية وطلبة
العلوم . وهؤلاء الآلاف لا يدرسون إلا بالعربية . فيجبرهم على تعلم
الكيمياء بلغة تدعى أنها عربية مع أن نصفها بل ثلثيها رطانات بائدة من
بريسيه واللاتينية القديمتين ضرب من الإرهاق والعسف لا يعرفه إلا من

يكابده من متعلّى الكيمياء برطانة أعجمية مكتوبة بحروف عربية وهم أمانى من الشيوخ .

ووضع اصطلاحات الكيمياء باللغة العربية فى متناول أهل اللسان العربى إذا انفق شيوخ العربية ومدرسو العلوم وصحت عزائمهم على إعلامش لعلمهم وقد عرضت على حضرات أعضاء مجتمعنا حين ندبونا نائين عنهم فى مؤتمره الكريم أن أكون رائدهم فى عرض نموذج مصغر لاصطلاحات الكيمياء باللغة العربية للدراسة النانوية على مؤتمر كم الجليل ، حتى إذا صادف اربا حاس بعض ذرى النعرة العربية وأنصار العزة القومية بدأنا نعملنا مغتبطين مرتاحين . وإن كانت الأخرى فسنمضى فى عملنا قدما لانمام تنقية التعليم النانوى مرجئين العمل فى التعميم ريثما يهب الله للعربية جوا صالحا من بيننا وحفدتنا فيتمون بما أحج . والله نصير المجاهدين .

على أن لنا أسوة بالألمان الذين سبق لهم أن استبدلوا بأسماء العناصر لاتينية أسماء ألمانية ، ولم يعتبروا اصطلاحات الكيمياء اصطلاحات دولية . هذا إلى أن ثمة اختلافا بين اللاتينين وغيرهم فى تسمية أسماء كثيرة . أما هذا النموذج فهو مرتب على الترتيب الآتى :

بدأ أولا باصطلاحات الكيمياء غير العضوية ثم العضوية على أن استبدل بالزوائد التى تلحق آخر الكلمات صيغا من المشتقات لأن لغة ليست معروفة بل لغة اشتقاق كبقية اللغات السامية .

مصطلاحات الكيمياء غير العضوية

نبدأ أولا بتسمية العناصر البسيطة ، وقد وضعت صيغة اسم الفاعل من اللاتين المزيد بحرف للعناصر غير الفلزية على وزن (مُفْعِل) مشتقا من أفعال التى همزة للتعدية أو لجعل الفعل صار ذا كذا ، والأول مقبس عند الجمهور ، والثانى مقبس عند بعضهم أو على وزن مُفْعَل .

ووضعت صيغة (فَعَّال) للمبالغة أو للنسب وقد رجح الجمع قياسه بالذات .

أسماء العناصر غير الفلزية باللغة العربية

(١) الأكسجين : سميته المسمى .

لأن معنى اللفظ الأعجمي مولد الخرسنة كما ترجمها الترك ترجمة حرفية واستعملوها في علمهم قبل انقلابهم الأخير . وثمة حوامض كثيرة لا يدخلها الأكسجين في تركيبه . ولذلك سميته بأحسن صفاته وهو الإصغاء الذي هو اتحاد الأكسجين مع غيره .

(٢) الهيدروجين : سميته المسمى .

وذلك لأن معناه مولد الماء ، وصيغته (أفعل لإحداث الشيء) وهو هنا الماء . ومرة الماء منقلبة عن هاء بدليل جمعه على مياه .

(٣) الأزوت أو النتروجين .

يسميه اللاتينيون الأزوت ويسميه الانجليز ونوع الأم النتروجين أى مولد (النتر) وهو ملح البارود ، فنظرت إلى أشهر خواصه فوجدته يكون أربعة أخماس الهواء . وهو أيضا مادة الخشب في بنية النبات والحيوان . فرأيت أن نضع له أح. اسمين : أما المسجح بمعنى ذى السجاج والسجاج من أسماء الهواء ، وإما المنخصب وهو واضح .

(٤) الكلور . ومعناه الأحضر إلى صفرة . ولكننا سميته بأشهر صفاته وهي أنه يذسخ الألوان فيجعلها بيضاء . وتوجد صناعة قديمة لتبييض النياب تسمى التحوير لذلك سميته (المحور) أو المبيض .

(٥) الفلور . وسميته المالص من المصنف أى البريق واللمعان : لأنه يدخل في طلي الأواني الخزفية وغيرها .

(٦) الفسفور . وسميته المومض أو المشب من الوميض أو إشباب النار .

(٧) الكربون . وسميته المفحم لأنه عنصر الفحم .

(٨) اليود . وسميته المقريم من القرم وهو شجر ينبت في ماء البحر الملح لأنه يستخرج منه .

(٩) البروم . وسميه المؤرسن أو المؤرصل وكلاهما بمعنى المنتن . وهو اسمه باليونانية

أسماء العناصر الفلزية

وقد وضعت أسماءها على وزن فعّال للنسب أو البالغة

(١) الروتاسيوم أو القليوم . وسميته الملاء من القَبِي أو القَلَى ، وهما الفطان عريبان أو معرّبان قديمان . لأن معنى السِقْلِي (البروتاس) المنسوب إليه اسم القليوم .

(٢) الصديوم أو النطرونيوم . وسميته الشذام من الشذام بمعنى ملح الطعام ؛ لأنه أحد عنصريه كما أنه عنصر النطرون .

(٣) الكلسيوم . وسميته الكلّاس لأنه عنصر الكلّس بمعنى الجير وهو اسم معرب قديم .

(٤) السليسيوم . وسميته النّقّاح من النّقح ، وهو الخالص من الرمل لأنه عنصر الرمل .

(٥) اللاتين . ومعنى الاسم باللات عجمية الفظة ، ولذلك سمّيته النّسّاك من النّسيك ، وهو اسم مهجور للفضة أو الذهب وهو يسمى أيضا الذهب الابيض أو نسميه العرّاب أو القضام من الغربّ والقنيم وكلاهما اسم مهجور للفضة .

(٦) الكروم . ومعناه الملون ولذلك سمّيته الخضاب .

(٧) النيكل . ومعناه بالالمانية الخسيس أى النحاس الخسيس لأنهم عثروا عليه مخلوطا بالنحاس فظنوه نحاسا خسيسا ، وسمّيته الفلاز من الفلز لأن من معاني الفلز النحاس الابيض .

(٨) الأليمنيوم . وهو عنصر الطين الحر وعنصر الشب الابيض ولدت سمّيته النّضار من الغضار وهو الطين الحرّ اللزج . أو الشباب من الشب ، والشب يسمى بالانجليزية (الاكسوم) .

(٩) المنجنيز . وأسميه الصّدّاع أو الطّبّاع أو الرّيان من الصّدع والطحع والرين وكل منها بمعنى الصّدأ لأنه قوى الاتحاد بعنصر المصدى وهو (الاكسجين) فيكون به أصداء مختلفة .

(١) المغذيوم . وأسميه الضواء أو السطّاع لانه يحترق بضوء شديد فيستعمل في التصوير الشمسي .

(١١) الازديوم . وهو مشتق بالاعجمية من قوس قزح . ولذلك أسميه المزاح أو التّداء من النداء ومن معاني النداء قوس قزح أيضاً .

(١٢) الراديوم . وأسميه الشعاع ووجه التسمية طهر . وهذه أكثر العناصر استعمالاً ممثلاً إليها العناصر المسماة بأسماء عربية أو معربة قديماً ، فمن الفلزات الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزئبق والخاصيني أو التوتيا أو الجسد بلغة النين .

ومن غير الفلزات : الكبريت والزرنيخ .

وبمجموع هذه الأسماء اثنان وثلاثون عنصراً من نحو تسعين عنصراً ، وأكثر البقية قليل الاستعمال أو نادر الوجود .

أسماء الأجسام الثنائية العناصر

هذه الأجسام أربعة أنواع :

(١) الجسم الذي لا يكون أول عنصريه أكسجيناً ولا إيدروجيناً مثل كبريتور الزئبق يتألف فيه كبريتي الزئبق أي الزئبق ذو الكبريت ، فتكون ياء النسب في أوله بدل زائدة (أور) أو (إيد) .

(٢) الجسم الذي أول عنصريه الإيدروجين وكان حامضاً كالجسم المركب من الكلور والإيدروجين وهو (الكلور إيدريك) يقال فيه الحامض المحوّر فنكون ياء النسب في آخره بدل زائدة (إيك) .

(٣) الجسم الذي أول عنصريه الأكسجين ويكون بتأثيره في الماء حامضاً مثل (الاندريد كربونيك) يقال فيه : نف الممحمي . لأن معنى الاندريد بالاعجمية : الخالي من الماء . وكذلك معنى النف بالعربية أو يقال أيضاً جفيف الممحمي .

(٤) الجسم الذي أول عنصريه الأكسجين ولا يكون بتأثيره في الماء حامضاً مثل (أكسيد الحديد) يقال فيه صدأ الحديد .

الاجسام الثلاثية العناصر التي أحد عناصرها الأكسجين
هذه الاجسام قسمان : حوامض وأملاح :

الحوامض

الحوامض أربعة أنواع :

- (١) ما يكون أكسيجه كثيرًا ، ويختم بزائدة (إيك) علامة النسب الانعجمية
مثل (حامض الزرنيخيك) يقال فيه الحامض الزرنيخي .
 - (٢) ما يكون أكسيجه قليلا ، ويختم بزائدة (أوز) الموضوعه من اللقطة مش
(حامض الزرنيخوز) يقال فيه حوامض الزرنيخ .
 - (٣) ما ينشأ عنه أكثر من حامضين كالمركب الناشئ من حامض مخنوم بزائدة
(إيك) يقال فيه الحامض تحت المحوري .
 - (٤) المركب الناشئ من حامض مخنوم بزائدة (أوز) مثل (الحامض تحت
الكلوروز) يقال فيه الحوامض (تحت) المحوري .
- توضع كلمة (فوق) بدل كلمة تحت إذا كان تركيب الجسم يقتضيها .

الأملاح

الأملاح أربعة أنواع :

- (١) الملح المتركب مع حامض كثير الأكسجين ويختم فيه العنصر الآخر
بزائدة (ات) مثل (كلورات البوتاسيوم) يقال فيه : ملح محور القلاء .
 - (٢) الملح المتركب مع حامض قليل الأكسجين ويختم بزائدة (إيت) ملح
(كلوريت البوتاسيوم) يقال فيه ملح محور القلاء .
 - (٣) الملح المتركب مع الحامض الموصوف بلفظ (تحت) وأكسيجه كثير
مثل (تحت كلورات البوتاسيوم) يقال فيه تحت ملح القلاء .
 - (٤) الملح المتركب مع الحامض الموصوف بلفظ (تحت) وأكسيجه قليل
مثل (تحت كلوريت البوتاسيوم) يقال فيه : تحت ملح محور القلاء .
- وفي عكسها يوضع لفظ (فوق) إذا اقتضاه التركيب

تنبيهات:

(١) أقل الأصداء (الأكاسيد) مصدرثا (أكسيديا يسمى أول صدأ كذا وما يليه يسمى ثاني صدأ كذا وهلم جرا ،
(٢) القاعدة أو الأسر أو الأصل صدأ معدني قابل لأن يتحد مع الحرامض ويكون ما حا

(٣) القف أو الففيف أو الجفيف صدأ العناصر غير القلوية القابل لأن يتحد مع الماء ويكون حامضا .

(٤) الغاز بمعنى الجسم الصعاد يمكننا أن نسميه بالدخ أو الأبخام أو الأوار أو العُكَّاب أو العُتَّان أو العرن أو الرِّهَاء ، وكلها تنيد معنى الدخان وما يشبه الدخان

هذا ولا أرى مانعا من إطلاق اسم الدخان على معنى الغاز قال تعالى : في خلق السماء والأرض « ثم استوى إلى السماء وهي دخان » فاستعمله بمعنى الغاز
الكيمياء العضوية أو المفحمة

لا ننكر أن تسمية المركبات في الكيمياء العضوية بأسماء عربية تحتاج إلى جد ومثابرة وجهاد عنيف . غير أن كل ذلك يهين أمام العزائم الماضية وأمام توطين النفوس الحرة على اقتحام العقبات ، وبدلنا على أن ننزل صعبها في حيز الإمكان أن شيخا هرما مثل ليس بكيميائي ولا متطبب ولا عارف بلغة أجنبية يستطيع أن يعرض على حضراتكم نماذج لأسماء وضعها على بعض مسميات المركبات العضوية على الوجه الآتي .

(١) البرافينات أو الايدورجينات المكونة المتشعبة أو الجذيات أو الممهاث المفحمة المتشعبة.

سمينا البرافين (بالجذائية) لأن معنى البرافين مختزل من كلمات أعجمية منهاها الجذب الخفيف فإذا صغرنا لفظ (الجذب) أفاد معنى الخفة والقلّة . وقد جعلت المصدر الصناعي هنا على كل لفظ مختوم بزيادة (ين) الدالة على الخلاصة والروح مثل الجبنية والبنية للجبنين والكفايين

(٢) يدخل تحت هذا البرع من الممهمات المفحمة سلسلة (الميثان) وهى :
الميثان والايدان والبروبان والبوتان وشبه البوتان والبنان وأنباه البنان . وما
يشق منها مثل المثيل والاثيل والبروبيل الخ .
وأفراد هذه السلسلة يمكننا أن نسميها بأسماء عربية بأن تصاغ الأسماء المختومة
بزائدة (آن) على وزن (فاعل) والأسماء المختومة بزائد (ايل) على فعيل .

اسم عربى

اسم أعجمى

(١) الميثان (غاز المستنقعات) = الميثيل = الآجل (بمعنى المستنقع) الانجيل

الايثان — الاثيل = الطاسل الطسيل (من معنى السراب

أو الغبار المرتفع اللامع)

البروبان — البروبيل = الشاعل — الشعيل ، لأنه دخان يشتعل

بلمب

البوتان — البوتيل = الجائل — الجويل — سمته بذلك

شركة (شل بوناجاز) لأنه يتقل فى

أوعية ويرسل إلى البلاد .

شبه الجائل .

الايسروبوتان

البنان = الماسل (بمعنى السائل) لأنه جسم سائل .

الاوليفينات أو الايدروجينات المسكربة غير المشبعة

تسمى هكذا : الزيتيات أو الممهمات المفحمة غير المشبعة .

يسمى الاثيلين الطسيلية .

يسمى البروبيدين : الشعيلية .

الكحولات

نسمى الكحول بالغول وهو المادة المسكرة فى الخمر وهى التى تغول العقل
ويستنبط اسمها من استعمال القرآن الكريم لهذا الاسم حيث قال فى وصف خمر

الجنة : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » فسر الغول بما يقتال شارب الخمر فيها . وعلى ذلك فيجمع الغول على أغوال .
والسمى مشتقات الأغوال من المركبات في ساسة الميثان (الآجل) الجذبية والزيتيه .

الاثيرات

يمكن إبقاء كلمة الاثير لانه مأخوذ من معنى الغنصر الخامس وهو معرب قديم منذ زمن المأمون ومع ذلك فمن السهل وضع اسم عربي له .
ويضيق بنا المقام عن الدخول في تفصيلات المركبات العضوية ونكتفي الآن في نموذجنا المصغر بذكر الاسماء الأعجمية واضعين بإزائها الاسماء العربية على هذا الوجه

أنواع الأغوال

| الاسم العربي | الاسم الأعجمي |
|------------------------------|-------------------------|
| الغول الانجيلي (روح الخشب) . | (١) الكحول المنيلي |
| الغول الطسيلي (روح الخمر) . | (٢) الكحول الأثيلي |
| الغول الشعيلي . | (٣) الكحول البرويلي |
| الغول شبيه الشعيلي الخ . | (٤) الكحول الايسوبرويلي |
| الغول الجويلي . | (٥) الكحول البوئيلي |

المواد الدسمة

| | |
|---|---------------------|
| الجمسية ، والجَمَس السمن الجامدونخوره . | (١) الاستيارين |
| المهيدية ، والمهيد الزبد النقي . | (٢) المرجارجين |
| اللاهلية ، واللاهالة اسم يشمل الدسم كله | (٣) الاؤلولين |
| الجلسية ، والجلس بقية العسل . | (٤) الجلسرين |
| الحامض الجسمي . | (٥) حامض الاستياريك |

| الاسم العربي | الاسم الأعجمي |
|------------------|----------------------|
| الحامض المهيدي . | (٦) حامض المرجاريك |
| الحامض الآمالى . | (٧) حامض الأولايك |

المواد السكرية

| | |
|--------------------------|-----------|
| اليمينية أو الطبقية . | الدكسترين |
| الرب أو الدبس أو الصقر . | الجليكوز |
| السكرية . | السكرين |
| المُحِيل | الدياستاز |
| الدبقية . | الجلوتين |

الحوامض العضوية

| | |
|-------------------------------------|----------------|
| الحامض الفلى | حامض الفليك |
| الحامض الخلى . | حامض الخليك |
| الحامض الحامضى . | حامض الأكساليك |
| أملاح الخل . | الخلات |
| أملاح الحامض . | الأكسالات |
| الدابقية . | التين |
| الحامض العفصى . | حامض العفصيك |
| الصامور (الشديد المحوضة) أو الحُمَر | الطرطير |
| (التمرهندى) . | |
| الحامض الصامورى . | حامض الطرطريك |
| الحامض التفاحى | حامض الماليك |
| الحامض البورق . | حامض البوراسيك |
| الحامض الليمونى | حامض الستريك |
| الضريمية | البنزين |

الاسم الاعجمي

الاسم العربي

عطر الترمنتين

عطر البطمية أو الصنوبرية .

الليفين

الليفية .

الجنين

الجانية ،

هذا وإن التسميات التي وضعت على عجل ليست إلا مثلاً تقريبية لمثل
 حكمة الوضع يقوم بها جماعة من علماء الكيمياء وجماعة اللغة يتعاونون
 على تشييد صرح العربية ، فتصبح عما قريب لغة الدين والعلم والأدب والحضارة
 إن شاء الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز

أحمد الاسكندري

من أدب المرحوم حنفي ناصف بك

١

قصد إليه أحد صغار الشعراء ورجاه أن يقرظ ديوانه ، فلما اطلع حنفي بك على ذلك الديوان وجد شعراً ركيكاً ضعيفاً ، ولكن الشاعر عاد يلح ويكرر الرجاء ، ولم يجد حنفي بك مناصاً من إجابة سؤله فكتب له هذه الأبيات وطار بها الشاعر فرحاً وطبع على ديوانه بالخط الكبير « قرظته سعادة حنفي بك ناصف » :

| | |
|-----------------------|----------------------|
| شعر الفحول الأول | ين أسامه شعر كهذا |
| لكنهم حرصوا على | كتمانهم إلا جذاذا |
| لا بأس ، فلهطل الأجر | ش يكون أوله رذاذا |
| فأكيف على الشعر القدر | يم ولد بكعبته لواذا |
| وقل القليل فإنه | بين الوري أمضى نفاذا |
| إن المقل يكون أر | جح كفة وأخف حاذا |

٢

وقال يرثي قاسم بك أمين المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ ، ويذكر خطبة كان المرحوم ألقاها في الليلة السابقة لوفاة :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| بالأمس كان خطيبنا بالنادي | واليوم مضرعه حديث الوادي |
| أنحيط في النادي بمنبره دجي | والصبح نحمله على الأعواد |
| تصفق إعجاب تحول فجأة | لطماً بأيدي جنن بالأضداد |
| أمست بمرآة العيون قريرة | وغدت أسي بنواه رهن سهاد |
| ما بين إزهار الحياة لقاسم | وذبولها إلا كقدح زناد |
| لم تشك من ألم ولم تك كبرة | ما بال نارك حولت لرماد |

هلا عدتكم إلى سواكم منية من عشوا في مصر بالإفساد
كم هادم لبنائها ، متطالع لفنائها ، متربص لجساد
ولكم بها من رانع في طهوه مسترسل في غيه . متماد
ولكم بهذا الفطر باغي فتنه هو رانح لشربها أو غاد
ومخاتل يسعى بأى وسيلة للبال يقنصه من الأفراد
ومعمر سئم الحياة ، ومَلَّه أهله ، واستحيا من الأحفاد
مابالهم ضل الحمام سيدهم فتمكنوا في الأرض كالآوتاد

٣

توفي طفل له يدعى عصاما فكتب إليه الإمام الشيخ محمد عبده يعزیه ،
ورد عليه بالكلمة الآتية - ونذكر بهذه المناسبة أنه أنجب بعد ذلك ابنا آخر
اسمه عصاما قال ، وهو يشير هنا إلى تأفقه من إقامته بالصعيد حيث كان يتولى
منصب القضاء :

« ورد الكتاب ، تخفف حر المصاب ، لأنى كنت كلفا بهذا الغلام ،
وتعفا بأن تسوِّده نفسه فسميته بعصام ، والنفس تعطف على الصغير ، والوالد
بأمر الأخير ، وكنت أود أن ينتقل إلى القاهرة ، فانتقل إلى الآخرة ، واجتاز
دلت اجتاز ، بدون أن يكون معه جراز . وليت طلب انتقاله عرض على النظار
ثم لا أدنون بمبارحة الديار . ولولا أنه للطبيعة سلطان ، لما تحرك لهذا
حدثان ، لأنى أحسده الآن ، على راحته من متاعب الزمان . ومن يعلم حال
منفس الذى يكون فيه مثله كهلا ؟ وهاهى طوالعه منذرة بأه . أكثر جدبا
وأشد محلا !

« جاورت أعدائى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى »
أبى الله سيدى زينة للحياة ، ونفرا للعلماء والقضاة ، وكفَّر بوجوده سينات
الدمر ، وأعان بعظاته القلوب على الصبر .

أسماءنا في القرن العشرين

من الممكن أن نتحدث عن الأسماء حديثنا عن ظاهرة اجتماعية ، ناشئة من تغير الظروف والأحوال ، في بلد من البلاد ، بتغير الأحداث ، وتتابع الثورات ، وتوالى التقلبات الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ، وهي في حتمتها تدل على اتجاه الشعب وميوله ، ونستطيع أن نصل منها إلى مبلغ التحول في النفسيات ، والتغير في النزعات ، لجيل من الأجيال ، إذا استعنا بدراسة الأسماء قبل هذا الجيل وبعده ، ووازننا الأسماء في الأجيال الثلاثة ، كالترسمية عندنا قبل نهضة مصر في عهد محمد علي ، وبعدها إلى النورة العرابية ، ثم بعد ذلك إلى اليوم .

واختيار الأسماء للبنات والأبناء تقرره عوامل ، في الاسم نفسه ، أو في المسمى ، أو في الزمن الذي جاء فيه الوليد ، فقد يدعو الوالد أبناءه بأسماء لامر لاختيارها إلا حلاوة لفظها ، أو ما تدل عليه من معاني الفطنة والذكاء ؛ كسبه وفطين ، أو ما فيها من معاني الشجاعة والنبيل ؛ كشجاع ، ومقدام ؛ أو ما تبرزه من البأس والقوة ؛ كعباس وحسام . أو يكون المسمى — كما قال شوقي رحمه الله .

« عَزَّهْ مِنْ أَسْمَاءِ الْبَطْشِ وَالْفَتْحِ فَسَمِيَ وَلِيدُهُ بِأَسْمَاءِ »

وقد يكون الاختيار والتفضيل ناشئا مما كان لأصحاب بعض الأسماء من حد سعيد ، أو شهرة سياسية أو علمية ، ولو لم يكن للاسم أى معنى ، كالتدلى ، والأفغانى ، أو تكون التسمية نتيجة يقظة روح عامة في شعب بأسره ، أو طائفة من شعب ؛ كما بعثت ثورتنا الحديثة شعورا بالمجد القديم ، وحبا في إعادة ما غاب عن الأذهان من أبطال العرب والإسلام ، ذوى المآثر الخالدة ، وبطولة المجيدة ، كخالد ، وعمر ، وصالح الدين

وهناك نوع من الأسماء يساير كل العصور : كأسماء القديسين والصالحين ، والانبيا والمرسلين ، كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، وأشرف هذه الأسماء عند

لمسلمين هو اسم سيد الخلق ، محمد بن عبدالله ، وكذلك كل ما كان من مادة حم ، أو العبادة ، كأمحمد ومحمود وعبدالحيد وعبدالعزیز . لما ورد في الأثر من أن خير الأسماء ما كان من هاتين المادتين .

فإذا طعنا هذه التواعد على التسمية عندنا في هذا القرن، وجدناها واضحة في أسمائنا المصرية، من ذلك أن نهضتنا الوطنية في أوائل هذا القرن ، بقيادة زعماء المرحوم مصطفى كامل ، ومن بعده محمد فريد ، ثم سعد زغلول ، طيب الله ثلهم ، قد تركت وراءها كثيرا من المسلمين بهذه الأسماء . وكان لانصالتها إلى الحق حقه من الدهر أثر في التسمية . ما زلنا نحسه في الميل إلى ازدواج الأسماء ، كعلی رضا ، أو حسن جلال ، أو مصطفى كمال ، أو توفيق فكري وراه في اختيار المصادر المنيرة بآباء النسب : كحمدي ، ورشدي ، وصبري وفكري ، وفوزي . ورمزي ، أو المؤنات : مثل حكمة ، وعفة ، ورأفة ، وعزة مكتوبة بآاء مفتوحة : حكمت ، عنت ، رأفت ، عزت ، ولكن هذه التزعة قاربت إلى التكرار في الميدان لاخرى ترمى إلى الإكثار من الأسماء العربية الصحيحة وخبرها بما عرفه الشعر العربي أو التاريخ الإسلامي في أيام دولتها : من مثل : رائل ، وأمين ، ولؤي ، وأسامة ، وبشر ، وعادت إلى الحياة ليلى وعيلة ونية مع قيس وعنترة وجميل . وتعمق بعضهم في العروبة فاختر الغريب منها . سمي صاحب لي بنته « شمانة » كنت حاتم الصحابة التي قال النبي « رأيت » رحم الله أباهما فقد كان يحب مكارم الأخلاق »

وقد يسمى بعضهم أبناءه أسماء الخلفاء الراشدين ، أو بابني فاطمة سيدي شمس : الحسن والحسين ، وأعرف العجاج وقد سمي ابنه رؤبة ، ولم أسمع بعد بالطرماح والشنفرى وأم جحدر .

والأول في الوجود في فجر الثورة اسم من أعظم الأسماء ، وأقربها إلى عرس ، وأدعاه إلى الإجلال والإكبار ، هو « الفاروق » عرف الناس ذلك باسمه . إشراق الدين الإسلامي مثالا للعدل ، ومنارا للحق ، وحاميا للدين شخص عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأهل الملك فزادا رحمه الله رأى

بثاقب بهمه ، وبعد نظره في جلاله مولانا الفاروق ، عند مولده خلفا للفاروق ابن الخطاب ، فسماه هذا الاسم الكريم . وسرعان ما تهافت الناس على اختياره وأصبح من أحب الأسماء إلينا . وقد انبج الملك فؤاد سنة عمل بها من بعده تلك هي بدء أسماء صاحبات السمو المالكي الأميرات جميعاً بحرف واحد هو الفاء : فوزية ، فائزة ، فاتقة ، فتحية ، فوقية .

وقد غلبت نزعة جديدة على بعض من عرفوا لغات غربية، فرأى أن يتجنب في أسماء أولاده حروف الخلق ، حتى تنطق حروف الاسم كلها في اللسان الاجنبي مثل أمين ، سامي ، كمال ، شريف ، وفرنج بعضهم ما كان معرباً من الأسماء الغريبة ، وأصبحنا نسمع فكتور وماثيوس ، وجون بدلا من بقطرومي وحا ولم يقتصر هذا التحول في التسمية على سكان المدن والمتعلمين ، بل تعدى إلى سكان الريف وأبناء القرى ، وزاحمت الأسماء الحديثة من رشدي ، وسعيد ورمزي ، وبثينة ، وفورية ، وثريا ، أسماء الأولياء والصالحين من: أحمد الدين وإبراهيم الدسوقي ، وأبي يزيد البسطامي ، وأبي العباس المرسى .

وبعد فما زال كثير من الوالدين يرى من البر بآبائه أو أمهاته أن يحنس أسماءهم باقية في عقبه فيسمى بعض ولده باسم أبيه أو أمه ولو لم يكن حبيباً أو حضرياً .

وبعد فعندى الدليل المادى على كل ما ذكرت من المصريين وأسماءهم وبناتهم وأمهاتهم وآبائهم في مختلف مدنهم وأقاليمهم، فمن أراد برهاناً فليرجع إلى وعندى المزيد .

عبد الرزاق حميد

أثر محاضرة ألقاها أمير الزمزم ، في « اندلس »

الحياة العربية بالاندلس

أسف ، عبثة ، أمل ، الحياة الأدبية ، الثقافة العلمية ، خاتمة

نسى الدهر آية الأعراب بين هذى الربا وتلك المضاب
نبأني « البرنات » أن ذراها أفقرت من وشائج الأنساب
وغدا مجد « طارق » و « نعيم » بددا بين دارس و خراب
وخبث شعلة « الخلائف » لما وهنت بينهم عُمرا الأسباب
وانقضت دولة وطاحت عروش بعظام الملوك والحجّاب
وانبرى الغرب يأخذ الشرق بالتأ ر ، يصيب الأذى بغير حساب
وإذا أدبر الزمان وولى أجفل « الصقر » من نعيب الغراب

ooo

هسرا الغرب أين كانت دعاويه من العدل والحجا والصواب
واسألوه : أين الوفاء لقوم عاشروا الغرب عشرة الأحباب
ورأوه على المشقة داراً تجمع الشمل بعد طول اغتراب
نزلوها فصيروها جنانا في جمال الصبا وعذب الشراب
نشروا العدل والمساواة فيها وأماتوا زعامة الألقاب
أخذوها بالدين والعلم والحلم ، وكف الأذى وفك الرقاب
حيث أضحت لهم مثابة علم تقتفيها الركاب إثر الركاب
فصدتها وفودهم تنبارى في طلاب العلوم أى طلاب
أعجبهم قرائح الشرق لما أيقنوا أن ذوقه غير ناب
ورأوا فيه مشرعا مستطابا من ثمار العقول والألأباب

ثم كانوا على «الرعاة» ذئابا إنما الغدر من طباع الدنيا

تلك والله وصمة في جبين الغرب مقرونة بذم وعاب
فاذكروا ذاك يابني الشرق وابكروا بالدم الطاهر مصرع الأبحار
إنما تنهض الشعوب بذكرى سالف المجد في عصور السنين

يارعى القصر والرُصافة راع بعد طول الآباد والأحف
شهدا المجد حين كانا طريين وكانا سراجا غير جاد
وشدا فيهما الزمان عروس الدهر بين اللذات والآفات
وتغنست بلابل الأدب الجسم بشعر النهمي وشعر التصاني
فالمليح «ابن عبدربه» إن تغنى مازج السحر بالمعاني العذاب
وابن «زيدون» إن ترسل يوما كان حلو الوداد مر العتاب
و«ابن حمديس» كالمصور، يرمى عن خيال مخلق خلاب
و«ابن عمار» لا يرى العيش إلا تحت ظل الشراب والأصحاب
بالصبا بالرُّبَا «خفاجة» يلهم واصفا، مبدعا، مليء الوطاب
يشبه الطير يألف القطر والفجر، ويهوى نضارة الأعشاب
ويريك الحياة حافلة بالجد واللهم والرضا والفلاب
و«ابن دراج» في الوداع يمنيك بنيل المنى، وقرب الأرباب
يؤثر الجزل والغريب ويأبى عند وصل الوغى سوى الأغراب
«كأبن هان» وما أرى لابن هان مشبها في النسيب والأطراب
عقري يكاد يخلق بالشعر خيالا مجسما في إهاب
فهو في الشعر إن يك الشعر وحيا مبلغ الوحي أو رسول الخطاب

وجرت ثورة العقول تباعا فأماطت عنها كيف حجاب
من فقيه وكاتب وملم بفقن الحياة في كل باب

فهى أنى استردتها مسرح الجد وماهى الصبا ومضى المصاب
وتجلى ثقافة « السمر » فى وا ديهمو حرة كضوء الشهاب
فأسألوا « الأبيض » المدلّ وقولوا طبعيا ثقفت أم باكتساب ؟
يا لحا الله فى المعالى دَعِيًّا ماله يوم يدعى من جواب !
ولحا الله كل باغ على الشر ق ، العريق العلاء ، العريف الجناح !
و لك الدهر دائر سوف يطوى الغرب طى السجل صحت المكتاب !
وهل الدهر غير مافيه من خَلَق وخُلِق كلاهما فى انقلاب ؟!

يا أخى للزمان حسبك ماخا ضرتنا ممتعا جزيل ثواب
دبحت « أندلوش » يملك فى غير لجاج أو حيرة واضطراب
بيراع من الثقافة سمح جائل فى بحورها جواب
فأنتنا فريدة تنهذى فى جلال المشى ويصف الثياب
وهى غريبة كما يدعى الغرب ب سفورا ليست بذات نقاب
وهنا أبيات شخصية لاداعى لذكرها .

ويح نفسى لو أن لى صوت « إسحق » وقيثارة الفتى « زرياب »
لنغيت أو تمنيت ، لكن يا أخى للزمان . هل بك ماى ؟

فاستفيدوا من علمه وأفيدوا من تُوكُونَ معشر الطلاب ؟
وأميطوا عن العقول صداها إنا الورد من خلال التراب
إنا أنتم لمهر خلقتم لا لقفر خلقتم أو يباب
لا تفرنكم مظاهر دنيا نحن منها فى حيرة وارتباب
واعلموا أنا الحياة فلاة ضل فيها من يكتفى بالسراب

عبد العزيز محمد خليل

مدرس بمدرسة العلمية الابتدائية للبنات

ديوانه الأطفال

قطعة تمثيلية

الأشخاص ، ديك ، دجاج ، دودة في جحرها

أحد الديك : قوقو قوقو . قوقر قوقر هيا انهضوا فالفجر لاح
 قوقو قوقو قوقو قوقو واستقبلوا نور الصباح
 الدجاج : يا غرة الشرق انزعى عندك سواد البرقع
 وأنعشنا والمعى على بعين المطالع
 الديك : إلى اللقا إلى اللقا عل ضفاف الجدول
 نلقط حبا شائقا من زهره المهمل
 الدودة في جحرها : ففى ، ففى ، ففى . حيث أيها النهار
 إذا طلعت يمحى سواد ليل مستعار
 الديك مستمع إليها : هذا فحج خافت لدودة في جحرها
 لها انسياب صامت يهمنى من أمرها

يا ليتنى أخذتها وأككتى بلحمها
 وكيف لى أنزعها وهى خلال وجهها
 البرودة تبه مرتقول هذا اللعين يذئنى لحيلة دبرها
 فى قلبها يريد أن يخدعنى أواه ! ما أظهرها

قد يدل الطريقا ومال نحو مسكنى
 أليس ذا خليقا بالكيد إن أبصرنى

الله ما أبهى الصبا وأجمل السبا
والزهر مال معجبا بنفسه وسبا

ooo

والشمس في علياها تبتدئ جيش السحب
تشرق من سماها كفضة في ذهب

ooo

يا دودة الجحر انظري إلى جمال المرتفع
عليه حب الثمر هيا معا لترتعي
بوركت شيخ الديكة وسيد الدجاج
فخمرتي مرتبة أصلح فيها حاجي

لا بأس أن تسكشي إلى هنا وترجي
إن شئت أن تفرشي ريش جناحي فاصني
لا يا عزيزي ليس لي إلى الخروج من يد
فقد جمعت ما كلي قبل انتباه الرقد

ليس الحياة حبة تزدردن لها
أو أكلة أو شربة ترين حلوا شرها
صف لي الحياة إن تكن مجربا خبيرا
فرب ذي الوصف الحسن يفيدني كثيرا

إني أرى الحياة في هو وطيب ما كل
وصحة الخل الوفي يزيني في المحفل

صدقت ، لكن أين لي بالصاحب الموفق
والناس أهل عال من فاسد أو متق
لكن وجرأ مظلأ لم أر فيه الشمس

يوهن منك الهما ولا يريح النفسا
الدودة إن كان ذا محتقراً فلا عليك ضير
فرب شيء يزدرى يكون فيه الخير
الديك مع رفاقه أهلاً بكم:

ياديك قد قنا بشرط الوعد
ما رأيكم؟

اليوم حقاً من نعيم الخلد
أحدم يسأله رفاقه لقد ظفرت في الضحى
ما هي ، ما تلك التي أكلتها؟

إني ابتلعت دودة
أهنأ بخير نعمة وجدتها،

في ساعة مشهودة
الدودة مدعشة أبعد هذا تدعى ياديك أن تأتلفا
أذهب فكر المدعى لا بد أن ينكشفا

لعيشتي في جحرى مع الحياة كامله
تفضل عيش القصر مع الحياة زائله

أما سمعت المثالا للقط صافى الفأرا
وقد أتاه جذلا فاغتاله وفرا

الجميع كم في الحياة من عبر تسرقها الايام
تكون نوراً للبصر إذا دجا الظلام

قصيدة الأستاذ على بك الحارم

احتفلت عمة الاذاعة المصرية بعيد الزفاف الملكي ،
وكان من بين الطالع أن جاء موعد الاحتفال ، ونحن
على وشك الانتهاء من طبع هذا العدد من الصحيفة
وقد كان في مقدمة شعراء الاحتفال السيد ، الشاعر
الكبير صاحب المزة الأستاذ على الحارم بك ، رشاعران
ناهكان من شعراء دار العلوم هما الاستاذات : فابد
العمروسي ، وعمود حسن اسماعيل.

وقد آثرنا تسجيل ما جادت به قرائح هؤلاء الشعراء
المجيدين ، مما يسيرا عن ولاه أبناء دار العلوم جميعا
لصاحب التاج المبدى — جعل الله كل أيامه على البلاد
أعيادا ومواسم !!

اقبس ألور من شعاع الراح والشم الحسن في جبين الصبح
وابعث اللحن من سمالك ياشع ر ونافس به ذوات الجناح
وانهب الحسن من خدود العذارى واسرق السحر من عيون الملاح
وتنقل بين الخمائل جذلا ن طليق الهوى جيم المراح
واسقتنا من سلاوك العذب إنا قد ستما مرارة الأقداح
كم ثملنا برشفة منك ياشع ر فصرنا روحا بلا أشباح
ورأينا من الحقائق مانعز على كل باحث كداح
وقرأنا في كل شيء رُموزا فوق طرق البيان والإيضاح
ورسمنا بدائع الكون في لوح ح تعالى عن جفوة الألواح

وَفَهْمَنَا لُغَى الطَّيُورِ وَأَصْغَى نَا لِهَمْسِ النُّصُونِ فِي الْأَدْوَا حِ
 وَرَأَيْنَا الْبُرُوقَ تَضَحُّكَ فِي الرُّو ضِ فَهَفُوْهُ لَهَا ثَغُورُ الْآفَاحِ
 إِيَّاهُ يَاشَعْرُ أَنْتَ سُلُوْا فِي الدَّهْ يَا إِذَا ضَاقَ بِي فَسَبِّحْ الْبِرَّاحِ
 كَمْ عَنَاءٍ كَشَفْتِ بَعْدَ نَضَالِ وَجَبِيْنَ مَسَحْتَ بَعْدَ كِفَاحِ
 لَا تَدْعُنِي يَاشَعْرُ فِي لَيْلَةِ الذِّكْرِ رَى وَأَطْلُقْ إِلَى الْخَيَالِ سَرَاحِ
 غَنَّتِي بِالْمُنَى تَرْفَ حَنَانَا بَعْدَ نَائِي وَبَعْدَ طُولِ جَمَاحِ
 غَنَّتِي بِاللِّقَاءِ بَعْدَ شَتَاتِ وَبِعَطَابِ الزَّمَانِ بَعْدَ شِيَا حِ
 غَنَّتِي بِالرَّيْعِ يَخْطُرُ فِي الرُّو ضِ وَيَعْطُو بِمُزْدِ وَوِشَا حِ
 غَنَّتِي غَنَّتِي فَقَدْ عَيَّ نَائِي وَنَبَا مَزْهَرِي عَنِ الْإِفْصَا حِ
 كَيْفَ تَحْوِي الْأَوْتَارَ مَا يَغْمُرُ الْقَا بِ وَيَطْفُوْهُ بِهِ مِنَ الْإِفْرَا حِ
 غَنِّ فِي لَيْلَةِ الْبِشَائِرِ يَاشَعْرُ رُ وَغَرْدَ بِصَوْتِكَ الصِّدَا حِ
 وَخُذِ الْفَنَ مِنْ تَرَائِمِ إِسْحَا قَ وَبُعْدَ الْمَدَى عَنِ ابْنِ رَبَّاحِ
 وَامْلَأِ الْأَفَقَ بِالنَّشِيدِ تُرْدِّدُ رَجَعَ أَنْفَاسِهِ جَمِيعُ النَّوَا حِ
 مَا سَتَ الْبَاسِقَاتِ فِي صَفَةِ الْوَا دِي وَأَرْخَتِ شُعُورَهَا لِلرَّيَا حِ
 وَرَنَا الزَّهْرَ بِأَسْمَاءٍ يَنْشُرُ النُّو رَ وَيَهْفُوْهُ بِشَفْرِهِ الْفَوَا حِ
 أَسْكُرْتَهُ الذِّكْرَى نَاصِغِي وَأَصْغَى يَمْلَأُ السَّمْعَ وَهُوَ نَشْوَانُ صَا حِ
 مَالٌ تِيهًا كَمَا تَمِيلُ الْعَذَارَى هَلْ عَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَا حِ

إِنَّ ذَكَرِي الرَّفَافَ أَسْعَدُ ذَكَرِي تَمَلَّأَ النَّفْسَ مِنْ مَنَى وَارْتِيَا
 سَعَدَتْ مَهْرُ بِالْمَلِيكَةِ فِيهِ وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهَا الْوَضَاحِ
 شَرَفٌ بِإِذْخِ يَتِيهِ عَلَى الدُّنَى يَا وَمَجْدُهُ مِنَ الصَّيْمِ الصَّرَاحِ
 نَبَتْ فِي مَنَابِتِ أَرْضِهَا الْمُسَى لَكَ وَفِي ظِلِّ عِزَّةٍ وَسَمَاحِ
 وَبَدَتْ دُرَّةً مِنَ النَّبْلِ وَالْمَجَى مَدْفَعَتْ مِنَ الدَّرَارِي الصَّحَاحِ
 فَهَنَاءَ فَارُوقُ يَا مَوْئِلَ النَّبِيِّ لِي وَيَا يَمَنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ
 أَنْتَ أَنْهَضْتَ مَهْرَ اسْتَبَقَ الْخَطَا وَوَتَمَضَى بِعِزَّةٍ وَطَمَاحِ
 وَبَعَثْتَ الْآمَالَ فِي كُلِّ قَلْبٍ وَغَرَسْتَ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ رَاحِ
 ذَاكَ سِرِّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَفَيْضُ مِنْ عَطَاءِ الْمُتَمِيمِ الْفَتَاحِ
 آلَ بَيْتِ الْمَلِكِ الْمُؤْتَمِلِ أَنْتُمْ شَرَفٌ مُشْرِقُ الْأَسَاوِرِ ضَاحِي
 عَجَزَ الشَّعْرُ أَنْ يَنَالَ مَدَاكُمْ وَكَبَتْ دُونَ وَصْفِكُمْ أَمْدَا حِي
 كَتَبَ اللَّهُ فِي الْخُلُودِ عَلَامَكُمْ مَا لَمَّا خُطَّ فِي السَّمَاوَاتِ مَا حِي
 جَدُّكُمْ أَنْقَذَ الْبِلَادَ وَأَعْلَى رَايَةَ الدِّينِ بِالْظُّبَا وَالرَّمَاحِ
 حِكْمَةً تَأَسَّرُ الْقُلُوبَ بِصَفْحِ وَلِيَاءٍ يَغْشَى الْوَعْيَ بِصَفَاحِ
 كَمْ تَغْنَى بِفَضْلِهِ كُلَّ مَغْدَى وَسَرَى ذِكْرُهُ بِكُلِّ مَرَا حِ
 عَاشَ فَارُوقُ وَالْمَلِيكَةُ دُخْرًا وَمَنَارَ النَّهْوضِ وَالْإِصْلَاحِ
 وَلَتَعَشَّ قُرَّةُ الْبَصَائِرِ فَرِيًّا لُ حَيَاةِ النَّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ

قصيدة الأستاذ فايد العمروسي

لمن الأمانى باسمات

شَاد يُغَرِّدُ ، عِبْقَرَى مُلْهِمٌ إِنِّي سَمِعْتُ غَنَاءَهُ يَتَرَنَّمُ
ضَحَكَتْ نُغُورُ الْبَشْرِ فِي الْخَانَةِ فَكَأَنَّهُ يَهْوِي السَّرَائِرَ أَعْلَمُ
أَيْقَظْتُ قَلْبِي فِي سَنَا أَحْلَامِهِ فَصَحَا عَلَى نَعَمِ الْمُنَى يَتَبَسَّمُ
لَحْنٌ كَانَ جَلَالَهُ مِنْ عِبْقَرٍ أَوْ أَنَّهُ رُوحُ السَّمَاءِ الْمُلْهِمُ
لِمَنِ الْإِنَاشِيدُ الْوَضَاءُ تَرْفُهَا وَبِأَيِّ مَعْنَى فِي الْوُجُودِ تَرْجِمُ؟
لِمَنِ الْأَغَانِي رَاقِمَاتٌ فِي الْعُلَا لِمَنِ الْجُمْرُوعُ إِلَى الْمَوَاكِبِ تَرْحُمُ
لِمَنِ الْأَمَانِي بِاسْمَاتٍ ، يَا لَهَا نَشْرَى ، تُدَاعِبُ لَحْنَهَا وَتُنْعَمُ
لِمَنِ الْقُلُوبُ تَفِيضُ فِي خَوَاقِنِهَا وَتُذْبِعُ مِنْ أَسْرَارِهَا مَا تَكْتُمُ
سَلَّ مَرْكَبُ الْفَارُوقِ ، سَلَّ أَعْلَامَهُ سَلَّ فَرَحَةَ الْإَيَّامِ عَنْهَا تَبْسُمُ
أَيْقَظْتُ أَنَّ الْكَوْنَ مَسْحُورُ النَّهْيِ طَرَبًا ، وَأَنَّ فُؤَادَهُ بِكَ مُغْرَمُ

يَا عَيْدُ ، أَفْرَاحُ الْبِلَادِ تَرَنَحَتْ أُمْلًا ، وَفَاضَتْ فِي خُطَاكَ الْإِنْعَمُ
يَوْمَ عَلَى الدُّنْيَا يَتَرَجَّ هَاءُهَا يَا يَوْمَ تَأْجُكَ فِي الْحَيَاةِ مُعْظَمُ
خَطَّتْ بِكَ الْأَجْيَالُ مَجْدًا سَامِيًا وَلَسَوْفَ يَخُذُ فِي الدُّهُورِ وَيَعْظُمُ
لَكَ فِي جَبِينِ الدَّهْرِ أَنْصَعُ غُرَّةٍ زَهْرَاءَ ، غَبَّتْ مِنْ سَنَاهَا الْإِنْجُمُ

تَسَاقِقُ الْعِزَمَاتُ تَحْتَ لَوَائِهَا وَنَدَاكَ عَنْهَا لَا يَنْبَى أَوْ يُحْجَمُ
وَطَلَعَتْ فِي الدُّنْيَا بِأَمَالِ الصَّبَا وَالْمَلِكِ ، وَالْعَالِيَا ، وَقَلْبُكَ ضَيْغَمُ
تَمْضِي عَلَى ثِقَةٍ ، وَعِزْمُكَ نَابِضُ مُتَقَاتِلُ بَنِعِيمِهَا ، مُتَوَسِّمُ
مَوْلَايَ ، إِنْ عَمَّتْ بِشِعْبِكَ نِعْمَةٌ فَلَأَنْتَ مُسْدِيهَا ، وَأَنْتَ الْمُنْعِمُ
مَسَحَتْ يَمِينُكَ كُلَّ جَرَحٍ نَازِفٍ فَشَدَا بِعُطْفٍ يَمِينُكَ الْعَتَاثُ
لِلشَّعْبِ فِي التَّارِيخِ أَكْرَمُ عِزَّةٍ وَلَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا أَعَزُّ وَأَكْرَمُ

مَالِي وَلِلشَّعْرَاءِ أَدْخَلَ دَارَهُمْ هُمْ طَوَفُوا فَوْقَ الْخَيَالِ وَحَوَّمُوا
خَطَفُوا مِنَ الْعَالِيَاءِ أَسْمَى مَايَهَا وَعَنَوْا بِهِ نَحْوَ الْمَالِكِ وَسَلَّوُوا
لَمَّا وَجَدْتَ الرِّيحَ تَقْصُرُ دُونَهُمْ مَنِيَتْ نَفْسِي ، لَيْتَ أَنِّي مِنْهُمْ
وَبَعَثْتُ مِنْ قَلْبِي عُصَاةَ خَفَقَةٍ يَا قَلْبَ حُسْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مَعْنَمُ
مُقِلُّ الزَّمَانِ يُطَلِّ مِنْ أَهْدَابِهَا مَجْدٌ رَفِيعٌ بِالْمَكَارِمِ أَفْنَمُ
شَامَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ جُلَّ هَبَاتِهَا سُبْحَانَهُ نَعْمَ الْمَعِزُّ الْمُنْعِمُ
«فَرِيَال» مَا أَبْهَى ضِيَاءَكَ فِي الْوَرَى نَجْوَاكَ بُشْرَى لِلرَّجَاءِ وَبَلَسْمُ
هِيَ نَبْتَةُ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ ، وَعُنْصُرُ الْأَ صَلِّ الْكَرِيمِ ، وَعِزَّةٌ تَنْسَمُ
هِيَ بِنْتُ أَمْجَادِ الْمُلُوكِ مَفَاخِرَا شَادُوا صُرُوحَ الْعَالِيَاتِ فَكْرَمُوا
بَسَمَتْ لَكَ الْأَمَالُ فِي فِجْرِ الْمُنَى فَطَلَعَتْ كَالدُّنْيَا تَمِضُ وَتَنْعَمُ
رَمَقَتْ أَخَاكَ الْأَمْنِيَّاتِ فَأَصْبَحَتْ نَشْرَى بِمَقْدَمِهِ ، وَبَاتَتْ تَحْمُ

لَوْ تَعَلَّمَ الْآيَامُ مَشْرِقَ شَمْسِهِ لَخَطَّتْ عَلَى أَفْلَاكِهَا ، لَوْ تَعَلَّمَ !
هَتَفَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ فِي سَبْحَاتِهَا وَفَمَّ الزَّمَانُ غَدَاً بِهِ يَتَكَلَّمُ
مَلَأَ الْمَشَاعِرَ أَنْتَ يَا مَنْ نَزَّجَنِي يَا مَنْ نَكَّرَ طِيفَهُ وَنُعْظَمُ
أَقْسَمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ فِي عَيْدِهِ يُزْجِي أَنَا شَيْدَ الْهَوَى وَبُرْنَمُ
مَوْلَايَ ، نَجْمُكَ فِي سَمَائِكَ صَاعِدٌ أَبْدَأُ ، وَسَعْدُكَ فِي الْحَيَاةِ مُبْتَمُ
فُتِحَتْ لِمَرْكَبِكَ السَّمَاءُ فَطُفَّ بِهَا لَكَ فِي ذُرَاهَا لِلْأُمَانِ سَلَمُ
مَوْلَايَ ، مَا خَفَعَتْ قُلُوبٌ فِي الْوَرَى إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا الْأَجَلَ الْأَعْظَمُ

فؤاد العمروسى

نشرنا في العدد الماضي من الصحيفة ، شهيدا عسكريا للاستاذ عمران الجمل ، فسداه إلى غير ذلك ، خطأ ، فيسرها أن تعود لتصحيح ذلك في هذا العدد ، نوهين بذلك التفتيد :

قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل

أَنْتَ مَنْ يُعَالَى بِهَدِّ الشَّمْسِ صَرَحَ النِّهَضَاتِ

هَاتِ الْهَامَكَ هَاتِ يَا مَلِكَ الْمَعْجَزَاتِ !

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ عَرْشٌ عِبْرَتِي فِي الْحَيَاةِ

هَزَجَ الْإِنْفَاسِ ، ضَاقَ الْبَشَرُ ، ضَاحَى الْقَسَمَاتِ

ضَاحَكَ الْغُذْوَةُ فِي الْآفاقِ ، طَلَقَ الرُّوحَاتِ

عَبَقَ الْأَرْوَاحُ لِلدُّنْيَا ، شَذَى النَّسَمَاتِ

مَلَأَ الْأَفْدَاحَ لِلطَّيْرِ بِخَمَرِ النِّغَمَاتِ

فَانْتَشَى كُلُّ رَخِيمٍ بِالْأَغَانِي الرَّافِعَاتِ !

وَهَفَا بِالشَّعْرِ رَكِبَ مِنْ ظِلَالِ الْخَالِدَاتِ :

قَدْ رَأَيْنَا مُرَكَّبَ « الْفَا رُوق » رَفَرَفَ السَّمَاتِ

ضَوَّاتِ السَّحَرِ دُنْيَا هِ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ ..

فِي خَيْلِ الْمَرْجِ ، فِي السُّنْبُلِ ، فِي نَوْرِ الرِّبَاةِ

فِي ضَفَافِ النِّيلِ ، فِي الْأَوْدِ ، رَادِ ، فَوْقَ الْعَذَبَاتِ

فِي عِشَاشِ الطَّيْرِ ، فِي الْجَدِ وَلِ ، فَوْقَ الرِّبَوَاتِ

فِي حِمَى الْاَكْوَاخِ ، فِي الْأَبْرَاجِ ، فَوْقَ الشَّرَفَاتِ

قَدْ شَهِدْنَا عَرْسَهُ يَرْقُصُ أَعْيَادَ الْحَيَاةِ

فَجَرْنَا مَعَبَ الْخُلْدِ لِدُنْيَا السَّمَاتِ
فَتَرَنَحَ بِالْمُثَانِي صَادِحَ النَّيْلِ .. وَهَاتِ !

أَيُّ عِيدٍ يَا مَلِيكَ النَّيْلِ أَذْكِي خَطَرَاتِي ؟
عِيدُ مُسْرَاكِ الْمَحْرَا بَالِهْدِي كُلَّ صَلَاةٍ ؟
أَمْ تُرَى عِيدُ الصَّحَارَى يَوْمَ جُسْتِ الْفُلُوتِ ؟
وَتَرَكْتَ الْيَدَ نَشْرَى مِنْ أَفَاقِيقِ الْهَبَاتِ !
أَمْ تُرَى عِيدُ « لَفْرِيَا لَ » حَفِي الْبَرَكَاتِ ؟
رَفَرَقَ النِّمَّةَ فِي الْوَا دِي لَصَرَعِي النَّاتِبَاتِ
وَضَفَا مِنْهُ عَلَى الْبَاءِ سَاءَ فِي الْحَسَنَاتِ !
أَمْ تُرَاهُ فِي غَدِ عِيدِ الْقُلُوبِ الْوَاهَاتِ ؟
فِي صَعِيدٍ (١) يَرْقُبُ الْبُشْرَى لَيْفِ النَّظَرَاتِ
طَرَبَ فِي الْحَقْلِ وَالْكُو خَ شَجَا نَائِي الرُّعَا ..
نُورُكَ الْعَالِي سَلَقِي مِنْهُ طُهْرَ السَّجْدَاتِ
وَيَغَادِيكَ بِحُبِّ مُسْتَطَارِ الْخَفَقَاتِ
أَنْتَ مَنْ يُعَلِّي بِمَهْدِ الشَّمْسِ صَرَحَ النَّهَضَاتِ
وَيُرْدُّ الْمَجْدَ لِلنَّبَا رِيحَ فِي وَادِي الْآبَاتِ !

إيه يامرلاي ! واسمع من نشيد المهبجات
 حب واديك ودنيا من عظيم التفديات
 أينما سرت أهاج الحب ظل الخطوات
 عيدك الميمون أسرى بي لنور الذكريات
 حين رقرقت « بعبدين » الهوى من نغاتي
 شرف طار به عشاق شغرى ورواتي
 وشأى القرب به فوق الدار السبحات
 ساهز الدهر إغما زأابه طول حياتي
 وأذيق العصر من كآبة رحيق المعجزات

محمود مسعود اسماعيل

لُحْن والعروبة والاسلام

لأستاذ مسنين مسر محبوف

مهرة الى الأستاذ ساطع بك المصري بالعراق

هنالك في القرى المصرية العريقة في القدم، المنتشرة في سائر وادي النيل، على ضفافه وعلى حفافى ترعه وجداوله، تقيم الكثرة الغالبة من أهل مصر بما لا يقاس بهم في وفرة العدد سكان العواصم الكبرى، حيث تقوم الوراثة والبيئة والعقيدة نامية متغلغلة سليمة من اضطراب الحضارة وتضارب ألوانها - يشأ الفتيان والفتيات ودمهم يغلى بحب الإسلام ونصرة الإسلام، وأسرهم شريفة الممتمة إلى آل الرسول مروضع التحيل والإعزاز، يلتمسون منها البركان وصالح الدعوات، وإذا تزوج بعض أهل القرية من فتيات هذه الأسر عاشرها معاشرة روحية أقرب إلى التوقير والصفاء، وكيف يجروا يوماً أن يمس أهما أو أهما بمطعم؛ فيكون خصيماً للرسول يوم القيامة، ويحبط أعماله وما قدم لله من صلاة وصيام.

يفرح أهل القرى بالأعياد الإسلامية، ويصعدون إلى المآذن ليل البدر ليحجروا ملأ أفواههم (الله أكبر). أما الفرح الشامل والحلم العذب حين والنفوس المنشروحة المطمئنة حين يقبل موسم الحج؛ فما أحلى أغاريد الحج، وما أهنأ من يظفر بشربة من زمزم، وما أسعد التوفيق إلى لقاء الرسول؛ وإذا عاد الحاج استقبل بالتهليل والتكبير، وتفتحت الأرواح والقلوب إلى الله عسى أن تكتب السعادة لكل من بادر إلى احتضانه كما كتب له، ثم يتحدث ذلك الحاج مزهوا عن البيت الحرام وزمزم والحطيم، وعن قبر الرسول والآبوار الربانية التي تراها العين متلاثلة فوق القبر الشريف، ثم يقول الحاج: ما حمل الإسلام وما أحلاه، وما أبدع يوم عرفة وما أبهأه! لقد اجتمعت لأمة في ذلك المكان، وابتهل الجميع أن ينصر الله الإسلام.

وهكذا درجت قريتنا على إذكاء هذا الشعور وتقديسه من يوم أن وضت أقدام المسلمين أرضها إلى أبد الأبد.

وفي قرينتنا (بنى عدى) على حدود الصحراء الغربية كان سيدنا فقه الكتاب
رحمة الله عليه رجلاً صالحاً تقياً يؤم الناس في الصلاة، ويخطب للجمعة في المسجد.
وبدا حين وقت الصلاة حمل الغلمان جميعاً على الوضوء والصلاة خلفه : فمن بادر
حدث كان أثيراً عنده . وصار في حماية من سوطه . وفي مأمن من عصاه .
وبشره بالفتوح . وأن الله سيكفل له حفظ القرآن جميعه ، ثم ما لبث ذلك من طلب
العلم في الأزهر ، والسيادة في أهل القرية .

وكان سيدنا سياسياً على قدر ما يدرك مثله . بمسيره بالاحداث التي تشغل
مصر ، والخلافة الإسلامية ، فإذا انتصرت دولة الخلافة على أعدائها يدعو
عمرة السلطان عبد الحميد . وفي كل حادث يصيب مصر أو الخلافة يحزننا عن
ذاصراف إلى بيوتنا . ويأمرنا بالدعاء على أعداء الإسلام بالإهلاك والقضاء
ويتلو الفاتح ويقول ونحن نردد قوله :

يا مُرْتَقِبِنا عَلَيْنَا قَوْضِنا الأَمْرَ إِلَيْكَ
ومن بَغَى عَلَيْنَا لا نَشْكُرُ إلا إِلَيْكَ

وما كنا نعرف من السياسة غير أسماء يرددها سيدنا فإن رضى رضىنا وإن
سخط سخطنا ، وأذكر أن ناعياً نعى له السلطان عبد الحميد فلم يصدق الخبر .
وكل يدعو له بالتأييد بعد ذلك أمداً طويلاً كل جمعة على المنبر حتى استفاض
خبر . وأيقنت القرية أن السلطان عبد الحميد قد مات . وخلفه السلطان محمد رشاد .
فحينئذ لك سيدنا حزناً شديداً ، ووجه الدعاء إلى خلفه .

وسلاح الدعاء في مصر ورفع الأيدي لدحر الظالمين كان أمضى سلاح في
أبني أهل مصر منذ أمد طويل : لأن بطش الحكام في سالف الزمان كان
شديد جارفاً وإرغام الأنوف كان عاماً شاملاً ، ولأن الاحداث السياسية
قد نالت مصائبها في التديم فلم يستطع الشعب لها رداً ولا دفعاً . فكان الدعاء
حيلة الضعيف ، وملجأ المضطر ، وعم ذلك التقليد حتى أصبح طبعاً جارياً وعقيدة
موارثة ، وعلى طول الزمن ظنه الناس أنجح سلاح في شريعة المسلمين وغفلوا
عن موله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » نسوا أن عز

الإسلام ركن من أركان الإسلام ، وأن الإبقاء على العقائد لا بد له من حراس وحفظة .

وأحسب أن هذا النفيلد الخاطي أخذت تمحوه تحارب العصر الحديث . وأن شباب الإسلام أدركوا بعد أن طحتهم قوى الحياة ، وزلزلتهم المصائب البقاء للآخرة : لينصر الدين ويعلى كلمة الأمة ، ويحقق ما تطمح إليه الأمم . لتستطيع إبراز الآمال إلى عالم الوجود .

ولا عجب أن يكون سيدنا سياسياً فقد كان أهل قريتنا مشعورين بالسياسة من يوم أن مرت بالبلدة فرقة من جند نابليون بإزاء الصحراء الغربية ، وخرج إليهم أهل القرية على بكرة أبيهم ، وفي أيديهم القوس والهراوات وفرع الأشجار وأقحاف النخيل ، ونكروا بجند نابليون شر تنكيل ، ومن نجاة من الموت وإلى الأدبار إلى حيث يقيم فيلق كبير منهم في طريق أسبوط . ثم عادوا إلى القرية الحاملة بالنصر ، المستقلة بالحكمة ، المشية بعز الإسلام والظفر بالأعداء الهاربين ، وطوق الجند القرية بمدافعهم ، وأصلوها من أفراد ناراً حامية ، فاعتصم الناس بالمآذن ، وتوسلوا لمقامات الأولياء ، وأمنوا عنه ما بأيديهم من أحجار ، ووثقوا بما في صدورهم من إيمان ، ولكن شجرت المدافع كان أغلب من شواظ الصدور ، فانتقلت بهم المآذن على أساس . وخرت عليهم سقوف المنازل من فرقهم فألقاهم العذاب من حيث لا يشعرون وحلت النكبة ، ويتم الأطفال ، وأعوالت النساء ، وسلبت الأموال ، ومن بقي من سليمان فمرو من غار الواقعة نجا ، ومن خلال الدروب نفذ .

وعاد الجنود المسلحون منتصرين على القرية العزلاء .

ومن ذلك الوقت وبرج بابل لا تنقطع ضوضاؤه ، والسياسة المصرية في الإسلامية أخرى مدد أي مدد لحديث القرية وأسمار الميل .

وكان القدر أراد أن تكون حصنة قريتنا من السياسة وافرة كل حين ، فبنى فيها الشيخ على يوسف صاحب المؤيد عند أخواله من أهل القرية ، وحنط القرآن ، وشدا نحوا من الدين والعربية على الشيخ حسن الهوارى عالم الشريعة .

ثم تعلم في الأزهر وصعد محمده في سماء الشهرة وشيكا ، فكان أهل القرية أهله ، وعساؤها إخوانه ، يغمرهم بأعداد كثيرة من المزيد ، المجان فيتنقل المزيد كل يوم من بيت إلى بيت ، ويتلى في المجالس حرفا حرفا ، وتصبح السياسة شغل القرية الشاغل ، كأنهم خلقوا لها وخلقت لهم .

والشيخ على يوسف طيب الله ثراه ! كان دمث الأخلاق ، برا بأهله ومعارفه ، جديبا على أهل مودته ، لم تغير عظمته وشهرته شيئا مما جبات عليه نفسه منذ كان حدثا ، فن عرفه من أهل القرية وهو صغير ، ثم جاءه وهو من قادة الرأي في مصر ، تبسط معه كأنه ساذج منله ، وتحدث إليه حديث الصداقة البرقة ، وتلطف معه تلطف من لا يحس تغييرا في مجرى حياته . أو تقديرا للفارق بين مصاطب القرية ومجالس الملوك ، وكأنه لم يبلغ من السياسة كوكبا ، ومن الجاه ما شاء إنسان مخير أن يكون ؛ فسياسة الحكومة المصرية ، واختلاف الأحزاب المصرية وعرش مصر ، والخلافة ومصر والشرق والإسلام ، واستامبول والصدرا الأعظم ، هذه كلها ما كانت تجول فيه خواطر أهل قريتنا من صباح اليوم إلى مساءه . وأذكر أن قلوب أهل القرية كانت تتحرك كل يوم بالفرح أو الحزن في حرب إيطاليا لتركيا في طراباس ، وقد قام ذوو الشأن في مصر بدفع الخطر عن هذا الله المظلوم ؛ فإذا ذاع خبر النصر صاحوا بملء أفواههم « نصر الله الإسلام » وإذا حل المكروه بطراباس وجوا وجوم الحزين . كان هذا المعترك من الأفكار والاصطراع في الآراء يدور حولنا ، وينثر في أجواء المجالس ، ونحن معتر الأطفال لا نميز غنة من سمينه وخيره من شره إلا بقدر ما تطيق عقولنا ، ولا نستطيع أن ندرك إلا الغاية من هذه الأحاديث وهي حب الإسلام والتعاقب بمنزلة أعلى تنتهى إليه آمال المسلمين ، وهي عنصر وشيخ الصلة بالعروبة فكنا نعلم أن العرب أهلنا وأبناء عمومنا من غير أن نميز هذه الأطياف بعضها من بعض .

أليس محمد رسول الله عربيا ؟ أليست أعظم آمالنا في الحياة أن نرحب إلى مكة موطن العرب ومبعث الإسلام ؟ أليس قد حفظنا في الكتاب أن القرآن

« بلسان عربي مبين » « ثم آما عربيا غير ذي عرج » فقد صارت العروة بقوا الإسلام في نفوسنا فرعى دوحة واحدة، أو جدولين يخرجان من منبع واحد، ثم يلتقيان على ذلك العهد والميثاق، جرت دماؤنا في عروقه، مجرى الأنفاس في صدورنا. فكان طبيعيا أن تتجه مصر إلى الشرق، ويتجه إليها إذهبا الوجهان اللذان يتعارفان حين يلتقي الآخران ويخلصان .

أما تعارف الوجوه المتناكرة فستفرك بينها المصلحة كما جمعتها المصلحة .
(والشرق شرق والغرب غرب) كما قال كبلنج الشاعر الإنجليزى .

قد تقبس مصر والشرق من أوروبا العلوم والمعارف كما اقتبست أوروبا من مصر والشرق العلوم والمعارف ، ولكن الأجيال التي ربطت مصر والشرق بأنبياء الشرق أولا، وبالإسلام وثانيا، وبالحروب الصليبية ثالا ، وبثقافة عبد بغداد رابعا . كل أولئك دعا إلى اشتياء المصالح وامتزاج العراطف على قوائم القرون ، وستعرد الآن مريجة العراطف التالية كما كانت من قبل .

ذلك أمر طبيعي لا تستطيع الدوافع أن تسده ، ولا نزعات النفوس أن تردده ، وقد تخطى الحواجز جميعا، وصارع عوامل السياسة جميعا .

نعم قد استقلت مصر أحيانا مختلفة في السياسة عن الشرق، ولكن نوع الاستقلال كاختلاف الحواجز بين درب ودرب وقرية وقرية أهلها من دم واحد وآمال واحدة ، وإذا حل مكروه بإحداها تطلعت إلى أختها ، وظف فيها خيرا .

على هذه التيارات الفكرية نشأت القرى المصرية، وتمكن من قلبها الإخلاص لرأيها، والثقة بدينها وعروبها .

أما أنا فقد خرجت من معمعان الكتاب ظافرا بحفظ القرآن الكريم . واستجاب الله في لدعوة سيدنا، فقد كنت ممن يصل خلفه ويمسك بعاكه ليديه من الكتاب إلى البيت ، ويدعو بدعائه إن أملت بالإسلام أحداث الزمان ، ولم ألبث أن رأيت نفسى قبل أن أبلغ الحلم في أحضان السياسة الإسلامية ،

يس عمى السبح محمد حسنين العدوى شيخا للعلماء في معهد طيطا؟
 بجيبه المؤيد بالمجان كل يوم ، أليس العلماء يسمرون في منزله ويبتلون يده ،
 ويتحدثون إليه عن الخديو ومصر والإسلام؟

كنت عند سيدنا أحلم بالسياسة خيالا ، فإذا بي في بيت عمى أراها عيانا ؛
 وأنا أفيض غلاف المؤيد وأفرقه كل يوم والمؤيد لسان الخدير وظهير الخلافة
 لإسلامية ، وملجأ العروبة ، يحرر فيه دعائها ، ويلجئون إلى ركنه الشديد .
 ثم قامت الحرب الكبرى ونهضت على إثرها مصر ، وشغلت مصر بأحداثها ،
 والشرق بأحداثه ، ولكن جراح الشرقيين كانت دامية فاتجهوا إلى أهمهم
 الروم مصر .

ونهلوا من علومها وآدابها ، واتخذوا صحفها كتابا يقرءونه ، وسجلا يقدرونه ،
 ويترسمون خطاه ، وإذا بي أستيقظ من نوم طويل في ظلال شجرة التاريخ وأقرأ
 في الصحف :

لقد توسطت مصر في حل قضية فلسطين ، ووفود البلاد العربية هرعت
 إلى مصر من كل صوب وحذب تستفتيها في مصيرها ؛ ثم لمحت عيني لوحا
 من زور توسط بين السماء والأرض مكتوبا فيه : « يا أبت هذا أويل رؤياي
 من قبل قد جعلها ربي حقا ، وقد أحسن ربي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم
 من ادو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي » .

مسنين مسه مخاوف

المدرسة الخديوية

أصحاب الفيل

٣

الفصل الثالث

بقية ما نشر في العديدين الماضيين

للهاد محمد يوسف المحبوب

المنظر الأول

(الجنود صرعى كالعصف المأكول ، جموع العرب من حولها فرحة متم لله)

أعرابي (يخاطب رفاقه) : —

| | |
|--|--|
| أَنْتَارُوا الْأَعْدَاءَ فِي الْخُطْبِ الْأَيْمِ | كَيْدُهُمْ ضَلَّ وَلَمْ يَغْنَوْا بِهِ |
| الْأَبَائِلُ تَهَاوَتْ كَالنَّجُومِ | تَحْمِلُ السَّجِيلَ تَرْمِيهِمْ بِهِ |
| حَطَّمْتَهُمْ ، صَيَّرْتَهُمْ كَالرَّمِيمِ | لَيْسَ فِيهِمْ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ |
| هَلَكُوا ، وَالْيَتُّ مَرْفُوعٌ عَظِيمٌ | مُطْمَئِنِّ ، آمِنٌ فِي سِرِّهِ |

هاتف : —

صَانَهُ الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ الْعَمِيمِ لِعَظِيمِ كَامِنٍ فِي غِيهِ !

الأعراب (ينظرون إلى السماء في دهشة ، مرددين صدى الهاتف) : —

« صَانَهُ الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ الْعَمِيمِ لِعَظِيمِ كَامِنٍ فِي غِيهِ ! »

أعرابي : —

اُثْلُوا الْبُشْرَى لِعَبْدِ الْمُطَلَبِ وَأَمْلُوا لَكِرْنَ بِأَحْجَانِ الطَّرَبِ
(يذهب بشير إلى عبد المطلب)

(طبول تدق . الأعراب ينشدون جميعا) :-

يَا كَعْبِيَّةَ فَازَتْ عَلَى الْحَسَادِ وَصَاحِبَا اللَّهِ مِنَ الْأَعَادِ
بِرَرَكْتِ يَدَيَا عَلِيٍّ الْعِمَادِ ائْتَى عَلَى الدَّهْرِ مِنَ الْأَطْوَادِ
هَدِيَّةَ الْأَبَاءِ الْأَحْفَادِ وَمَوْءِلَ الطَّمَاءِ وَالصُّوَادِ
وَمَنْتَقَى الْقَصَادِ وَالْوَرَادِ مِنْ حَاضِرَاتِ الْأَرْضِ وَالْبَوَادِ

المنظر الثاني

(عبد المطلب في مجلس قومه . البشراء يتعابرون) .

البشيرة :-

سَيِّدَ الْعَرَبِ سَلَامًا يَمْلَأُ الْوَادِي شَذَاهُ
هَلَكَ الْقَوْمُ وَرَاحُوا وَحَمَى الْآيَةَ الْإِلَهَ
بَيْدَ الْجَبَّارِ طَاحُوا وَجَنَى الْبَاغِي رَدَاهُ

عبد المطلب :-

أَهْ لَوْ كَانَتْ أَنْتِصَاحُ مَا رَأَوْا رَبًّا سِوَاهُ

اُثْرُوا الْبُشْرَى فَتَدَّ نَجَى الْإِلَهَ يَتَنَّهُ
وَأَنْظَرُوا الْبَاغِي وَمَا لَاقَتْ يَدَاهُ

لَيْتَهُ

أعرابي

ثَانٍ : لَيْتَهُ لَمْ يَعْصِ رَبًّا قَدْ بَرَاهُ

لَيْتَهُ

الجميع

عبد المطلب :

هَيَّا بِنَا : نَطْعَمِ الدُّنْيَا وَمَا وَسَعَتْ وَنَذْبِجُ إِلَيْهِمْ مِنْ شَتَّى الْقَرَّائِينَ
حَسْبُ الْقَرَّائِينَ أَنْ اللَّهَ يُخْلِفَهَا وَأَنْ فَيُضِنَّ نَدَاهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ

(ينصرف عبد المطلب ، وينصرف معه القوم)

في المجلس الخالي : أصوات تهتف (غير منظورة) برق يلع . موسيقات تعزف .

الهواتف منشدة : —

غَرَّدِي يَا طَيْرُ فِي ظِلَالِ الْحَرَمِ
أَنْشُدِي لِلْعُصُورِ مِنْ جَمِيلِ النِّعَمِ
غَرَّدِي الْأَحَانَ تَحْكِيهَا السَّمَاءُ فِي نَجْوَمِ زَاهِيَاتِ تُشْرِقُ
وَأُبْعَثِي الْبَشْرَى مَايَا لِلْحُمَى فِي غُيُومِ سَاجِيَاتِ تَبْرُقُ
« موسيqa صامتة تعزف صاعدة هابطة »

الهواتف ثانيا : :

يَا أَرْضُ لَا تَعْجَبِي لِلْقَوْمِ قَدْ حَطَمُوا
إِنَّ الَّذِي يَخْتَبِي لَدَى غَدٍ أَعْظَمُ

لَيْسَ فِي نَصْرِ الْحُمَى الْغَالِي عَجِيبٌ إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ الظُّلُومِ
إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ الْقَرِيبِ سَاعَةً تَفْضُلُ آلَافَ السِّنِّ
(الموسيqa تعزف . عبد المطلب وقومه مقبلين)

عبد المطلب :

هَيَّا نَعُدْ لِحَيَّا

أعرابي

طَابَ الْهَوَى وَالْمَوْضِعُ

ثان : —

مَا أَغْذَبَ اللَّحْنَ هُنَا فِي جَوْهٍ يَرْجِعُ

آخر : —

هَيَّا ادْخُلُوا لَعَنَّا مِنْ سِجْرِهِ نَمْنَعُ

(تخفت الموسيقى . يدخل عبد المطلب وقومه . فتقطع الأصوات ، ويسود

(الصمت)

أعرابي (ينظر إلى السماء في شغف) :

يَا شَوْقَ لِلْحَنِّ : خَبَا وَرَاحَ عَنَّا يَقْطَعُ

ثان (في أسف) : —

هَوَاتِمَ الْأَلْحَانِ : لَا تَقْطَعِي عَنْ جَوْنَا الظَّمَانَ أَلْحَانَا

لَوْ جَالَ بِالْأُذْهَانِ أَنْ تَقْرَعِي كُنَّا اسْتَرْقَيْنَا السَّمْعَ وَحْدَانَا

عبد المطلب (وقد أخذ مجأسه من قومه) : —

أَرَأَيْتُمْ ذَلِكَ النَّصْرَ الْعَجَابَا ؟ قَدْ رَبَّوْنَا اللَّهَ عَوْنًا فَاسْتَجَابَا

جَلَّ رَبُّ أَلَيْتَ رَبِّي ، مَجْدُوا خُشْعًا آلَامَهُ وَاحْزُوا الرِّقَابَا

وَانْظُرُوا — أَبْنَاءَ قَوْمِي — شِيعَةً مَلَّوْا الدُّنْيَا ضَجِيجًا وَاصْطَخَابَا

أَقْبَلُوا يَبْعُورُونَ بَيْتًا آمِنًا فِي جُمُوعٍ تَحْسِبُ النَّصْرَ الْحَرَابَا

لَمْ يَرَوْا جُنْدًا يُلَاقِي جَمْعَهُمْ غَيْرَ جُنْدِ اللَّهِ يُصْلِحُهُمْ عَذَابَا

فَإِذَا بِالْبَيْتِ مَرْفُوعِ الذَّرَا وَإِذَا بِالْجَيْشِ قَدْ أَضْحَى سَرَابَا

وَإِذَا الْبُشْرَى تَعَالَتْ لِلْسَمَا فَأَعَادَتْهَا غَنَاءٌ مُسْتَطَابَا

قُدْرَةُ اللَّهِ (تَعَالَى جَسَدُهُ) أَشْكُرُهُ : إِنَّ فِي الشُّكْرِ الرِّوَايَا

القوم : —

نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى النِّصْرِ الْمُبِينِ نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْبَيْتِ الْأَمِينِ !

(في هذه اللحظة يدخل بشير إلى عبد المطلب)

البشير : —

سَيِّدَ الْعَرَبِ سَلَامًا دُونَهُ الْعَذْبُ النَّمِيرُ

إِنَّ ذَا الْعَامَ لَعَامٌ تَزْدَهِي فِيهِ الشُّهُورُ

فَزَتْ بِالْأَمْسِ بِمَجْدٍ سَوْفَ تَحْكِيهِ الدُّهُورُ

وَاهِنًا الْيَوْمَ بِمَجْدٍ ذَكَرَهُ الْمَسْكُ الْعَبِيرُ

« وَلَدَ الْيَوْمَ لَعَبْدَ اللَّهِ هُوَ مَوْلُودٌ نَضِيرُ

الهواتف منشدة (عبد المطلب وقومه ينظرون إلى غير منظور)

هُوَ ظَلَّ اللَّهَ فِي دُنْيَاهُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ

قُرَّةُ الْأَعْيُنِ مَوْلُودٌ بِهِ فَاضَ السُّرُورُ

أَشْرَقَ السَّعْدُ عَلَى مَكَامِهِ وَالْخَيْرُ الْغَزِيرُ

وَسَرَى مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا يُهْنِيهَا الْبَشِيرُ

عبد المطلب (وقد غلبته دموع الفرح) :

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْمَوْلَى لَوْ دُعِيَ عُنْوَانُ السَّلَامِ

أَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَكَّةَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ

الهواتف :

إِنَّ لِلْمَوُودِ وَالْكَمِّ بَةً فِي الدُّنْيَا لَشَانَا
يَبْسُطُ الْعَدْلَ عَلَى الدِّمِّ يَا وَيْحُوهَا الْأَمَانَا
وَيَرَى فِي الْكَعْبَةِ الْغَمَّ رَأَى مَجْدًا لَا يُدَانِي
وَيُرَى النَّاسَ مِنَ الْأَذَمِّ يَانِ أَسْمَاهَا مَكَانَا

« إِنَّ لِلْمَوُودِ وَالْكَمِّ بَةً فِي الدُّنْيَا لَشَانَا »

« ستار الختام »

(حق تمثيلها أو نقلها محفوظ للمؤلف)

محمد يوسف المحجوب

فهرس العدد الثالث من السنة الخامسة

| الكاتب | الموضوع | صفحة |
|--|-----------------------------|------|
| التحرير . | مقدمة | ٣ |
| للاستاذ أحمد الشايب . | العبارة في الأدب | ٧ |
| » عبد الوهاب حمودة . | الأسلوب | ١٧ |
| » محمد سعيد العريان . | القصص | ٢٨ |
| رأى جماعة دار العلوم . | إعداد المعلم | ٤٨ |
| للاستاذ عبد الرازق حميدة . | الشعر القصصى أو شعر الملاحم | ٦٠ |
| » عبد اللطيف المغربي . | بين الحقيقة والخيال : | ٧٤ |
| » علي النجدي ناصف . | الأدب القومى والدعوة إليه | ٨٥ |
| » فايد العمروسي . | رحلة إلى الواحات البحرية | ٩٧ |
| » سيد قطب . | الحنين قصيدة | ٩٩ |
| » عبد العظيم على قناوى . | حلم النيل قصيدة | ١٠٠ |
| للمرحوم الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري . | تحقيق وتمحيص | ١٠٦ |
| من أدب المرحوم حفي بك ناصف . | افتراح | ١١٨ |
| للاستاذ عبد الرازق حميدة . | للتاريخ الأدبى | ١٢٠ |
| » عبد العزيز محمد خليل . | أسماءنا في القرن العشرين | ١٢٣ |
| » » » » » | الحياة العربية بالأندلس | ١٢٦ |
| اصحاب العزة على الجارم بك . | قطعة تمثيلية للأطفال | ١٢٩ |
| للاستاذ فايد العمروسي . | قصيدة عيد الزفاف الملكى | ١٣٢ |
| » محمود حسن اسماعيل . | » لمن الأمانى باسمات ؟ | ١٣٥ |
| » حسنين حسن مخلوف . | » أنت من يعلى بمهد الشمس | ١٣٨ |
| » محمد يوسف المحجوب . | صرح النهضة . | ١٤٤ |
| | نحن والعروبة والاسلام | |
| | أصحاب الفيل | |

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الجميلة

على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها ... رائعة في ألوانها

فبادروا بأخذ طلباتكم



سید زکریا

در سال ۱۲۸۵

تبریز

مکتب

تبریز

تبریز

تبریز

تبریز